منشىء المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء السادس اكتوبر (ت ١) ١٩١٢ السنة الثالثة

القنصل الروماني والوالي العثماني

أتيليوس ريجلوس وصبحي بك

لما احتلَّ الايطاليون جزيرة رودس منذ بضعة أشهر أسروا واليها صبحي بك ، وظل عندهم معتقلاً مدة من الزمن ، حتى وافتنا الصحف في الشهر الغابر بخبر الافراج عنه . وذلك ان الايطاليين أطلقوا سراحه ليعود الى الاستانة فيفاوض حكومته العثمانية بأمر تبادل الأسرى الذين وقعوا في أيدي كلتا الدولتين المتحاربتين . وأعطت حكومة رومة صبحي بك مهلة شهر ليقوم بهذه المهمة ، فاذا لم تفضِ المفاوضة الى نتيجة ترضي الفريقين عاد الى الأسر

قرأنا هذا الخبر في جرائدنا اليومية فذكّرنا حادثة من هذا القبيل جرت منذ اثنين وعشرين قرناً تقريباً في حرب التحمت مواقمها ، كحرب اليوم ، على سواحل افريقيا ، وكان بطلها ، القائد الروماني ماركوس اتيليوس ريجلوس (Marcus-Atilius Regulus) وهو أحد أبناء رومة

القديمة الذين لا يزال التاريخ يردد أعمالهم العظيمة وأقوالهم المأثورة . وقد بلغ حب الوطن عندهم مبلغاً لم يبلغ اليهِ سواهم حتى انهم جعلوا هذه الفضيلة في مقدمة الفضائل التي يتحلى بها المرء وبها يفاخر . وما هذه الحادثة التي نرويها اليوم الا واحدة من تلك الحوادث المدهشة التي يتألف منها تاريخ رومة الجمهورية ورومة القياصرة

***

كان ريجلوس هذا قنصلاً لرومة سنة ٢٥٣ ق م . وكان زمام الجمهورية الرومانية في ذلك العهد في يد قنصلين يديران شؤونها . وكانت رومة على ايام قنصلية ريجلوس في حربها الأولى مع قرطجنة . فتولَّى ريجلوس قيادة الجيوش . وبعد ان انتصر على الاعداء في موقعة «إكنوم» البحرية تمكن من النزول بجنوده الى ساحل افريقيا حيث ظلَّ النصر محالفه حتى افتتح مدن الشاطئ ووصل الى مدينة تونس فشدَّد عليها الحصار . ولما أنس من الأعداء ميلاً الى عقد الصلح وضع لهم من الشروط القاسية ما لم يسعهم معهُ قبول السلم . وكان ان أتتهم من بلاد اليونان نجدة بقيادة القائد كسانتيبوس . فخرجوا على الرومانيين واشتبك القتال بين الفريقين فوقع ريجلوس اسيراً بين أيديهم . وظل في الأسر سنتين كاملتين

ثمَّ ان القرطجنيين أفرجوا عنهُ ، وأرسلوه الى رومة ليفاوض حكومتها بشروط الصلح وبأمر تبادل الأسرى ، بعد ان أخذوا عليهِ الأيمان المحرَّجة انهُ يعود الى أسره اذا هو لم ينجح في ما هو مطلق لأجله .

- وهذا ما فعله الايطاليون اليوم مع صبحي بك — فوصل ريجلوس الى رومة ، وبلّغ مجلس الشيوخ (السناتو) المهمة الموكولة اليهِ . فتضاربت الآراء واختلف القوم في الأمر . فسُئل حينئذٍ ريجلوس عن رأيهِ . فتكلم بجنانٍ ثابت عن وجوب رفض الصلح ، لأن في استمرار الحرب دمار قرطجنة ، وارتفاع شأن رومة على مناوئيها . اما بشأن تبادل الأسرى فأشار ايضاً بعدم القبول . لأن معظم الرومانيين المأسورين من الشيوخ الطاعنين في السن فاذا أُطلق سراحهم لا يجني الوطن منهم فائدة في القتال . اما القرطجنيون المأسورون في رومة فمعظمهم في مقتبل العمر فاذا أفرج عنهم عادوا الى بلادهم وكانوا عوناً كبيراً لها على رومة

أعرب ريجولوس عن هذا الرأي وهو عارف انهُ بهذا الكلام يقضي بنفسه على حريتهِ . لكن منفعة الوطن كانت فوق كل منفعةٍ سواها . فوافق المجلس على رأيهِ ورفضت رومة مطالب قرطجنة

وللحال أخذ ريجولوس أهبتهُ للسفر ليقفل راجعاً الى محل أسره ، فأحاط بهِ الشعب الروماني — وقد أعجب ببسالته وتفانيه — وطلب اليهِ بالحاح ان لا يعود الى الأسر والعذاب المنتظر له ، فأبى . وأقبلت أمهُ وزوجتهُ تذرفان الدموع السخينة وتستحلفانهِ بالبقاء في وطنه لأن الموت الأكيد ينتظره عند الأعداء ، فأبى وقال : « حلفتُ أن أعود الى قرطجنة اذا لم تقبل رومة بمطالبها ، فلن أحنث بيمبني مهما أصابني » . ثم ودَّع ذويه وسافر لا يلوي على شيء

فلما وصل الى القرطجنيين — وكان قد اتصل بهم حضّهُ لمواطنيه

على مواصلة القتال — حنقوا عليهِ حنقاً شديداً وأذاقوه العذاب ألواناً. فكانوا يضعونهُ في برميل محشوٍّ بالمسامير ويدحرجونهُ من أعلى الجبل حتى يتخدَّش جسمه، ثم يطلونهُ بالعسل ويعرضونهُ في أشعة الشمس فتحوم حوله الزنابير والحشرات فتذيقهُ من لسعاتها أشد الآلام. وظلوا بهِ على هذه الحالة حتى مات

هذه حكاية مثال الوفاء والبرّ باليمين عند قدماء الرومانيين. وقد تغنى بها الشعراء في قصائدهم وسبكها الكتَّاب في روايات تمثيلية، وخلَّد المصوّرون والنحاتون ذكرها في صوَرٍ وتماثيل بديعة

وهي تذكرنا بحكاية السموأل المعروفة، وحكاية الطائي وقراد مع النعمان (١)

* * *

رأى القارئ شدة المشابهة بين ارسال القرطجنيين القائد ريجولوس الى رومه وارسال الايطاليين الوالي صبحي بك الى الاستانة. فعسى ان يكتب الوالي العثماني في تاريخ قومه صفحةً مجيدة كما فعل القائد الروماني، وان كان لا ينتظر صبحي ما انتظر ريجولوس من العذاب في الأسر

---

(١) وقد جاء تفصيل ذلك في الزهور (سنة ٢ ص ١٢٤)

مقالات باكون

باكون أشهر مشاهير فلاسفة الانكليز، كان له تأثير كبير في عصره، وهو يُعدُّ مؤسس الفلسفة الحديثة المبنية على الاختبار والاستقراء . وقد شاء صديقنا محمد لطفي جمعه الكاتب الالمعي والأصولي الضليع أن يتحف قرَّاء « الزهور » بمختارات من مقالات هذا الفيلسوف . واليك النبذه الأولى منها :

١ — أصحاب السلطة وأهل المكانة العالية

وإنَّا أُناسٌ لا توسُّطَ بيننا ... لنا الصدر دون العالمين أوِ القبرُ

إن من ولي أمراً كبيراً يكون عبداً ذليلاً لثلاث : أمته وصنعته وسمعته . فيطيع وليَّ أمره طاعةً عمياء، ويردعه صيتهُ عما تميل اليهِ نفسهُ، وتستغرق أعماله كل أوقاتهِ . وأيُّ رجل يشتري بحريته قوةً، ويسعى لنيل الحول على غيره فيفقد سلطانه على نفسه ؟

وان أحد الناس يجهد نفسهُ لينال سمعةً . وما السمعة الأَّ أم المتاعب؛ فقد يدفع حبُّها الرجل الى اقتراف الذنوب، فيصل الى المكانة السامية بعد ان ينال شرفه الاذى

والسبيل الى العلى غير ميسر، والدرب الى الصيت زلِق لا تؤمن عاقبة السير عليهِ . وان من تزلُّ قدمهُ فقد هوى، او عاد ذليلاً محسوراً . وأذكر قول شيشرون « اذا أفل نجمُ سعدك، ووضعك سواد حظك وأمسيت وضيعاً بعد ان كنت رفيعاً، نخليقٌ بك أن لا تعيش »

واذا شاء من حصل على السلطة والسطوة أن يتخلى عنهما لا يستطيع

الى ذلك سبيلاً . فاذا استطاع ذلك قلّت رغبته في التخلي ولو اشابه كرّ الغداة ومرّ العشيّ . ومثله كمثل العجوز من النساء ، فانها تفتأ تتبرّج وتتزين كأنها تهزأ بالدهر والدهر منها هازئ

واذا تاقت نفوس ذوي الصيت والسمعة الى السعادة يوماً ، فيكفيهم أن يسمعوا بها ممن يتطلب مكانتهم ويسعى في الحصول على ما لهم من السطوة والسلطان . لأنهُ لا يحبّب الصيت للانسان سوى ان مئين من الناس يتمنون ولو بجدع الأنف أن ينالوا مناله

ولو علم الناس بما يلاقيه أصحاب المكانة السامية من المتاعب ، لاكتفوا بما لديهم . ولكن

لا يعرف الشوق الاَّ من يكابده　　ولا الصبابة الاَّ من يعانيها

وأحدنا أول من يشعر بهمومه ومتاعبه وآخر من يحس بعيوبه ومثالبه

وقد لا يستطيع من يقوم بشأن الناس أن يقوم بشأن نفسه ، فيكون أجهل الناس بحاله ويكون الناس أعرف بهِ منهُ

وان المكانة السامية تمكن صاحبها من صنع الخير وعمل الشر . وخير ما ينجي من عمل الشر هو النية الصالحة وعدم القدرة على اتيانهِ . واما صنع الخير فهو أسمى المقاصد وخير ما تطمح له النفس الفاضلة . ومن كانت نيته صالحة فان له عند الله ثواباً وأجراً . اما الناس فلا يؤمنون الاَّ بما يرونهُ امامهم من الأعمال الصالحة . وليس في طاقة أحد الناس ان يصنع ما ينويهِ من خير ، الاَّ اذا كان قادراً ذا سطوة ونفوذ . ولم يكن لله في خلق الانسان من غرض سوى أن يكون الانسان مخلوقاً خيراً ،

يعمل الخير ويقابل الخير بالخير. وليس يهدأ قلب الرجل في صدره ، الاَّ اذا صنع الخير أو نواه

وكن اذا وليت منصباً مقتدياً بمن سبقك اليهِ ممن كانوا مفلحين . ولا تنسَ أمر من أفسد قبلك لأن لك في أمره عبرة . واذا رأيت خللاً في ما بين يديك من العمل فاجهد نفسك في إصلاحه ، ولا تعجب بنفسك ولا ترمِ من سبقك بالعجز والتقصير

ولا تعمل عملاً الاَّ اذا كان النظام رائدك ؛ ولا تكن متشبثاً في أمورك . ولا تخفِ أمراً لا يخشى على عملك من افشائهِ

ولا تمكّن أحداً من سلب حقوقك . ولا تدع غيرك ينال مما لك من النفوذ منالاً . وكن عليماً بشؤون من وليت امورهم ، وكن منهم بمثابة العقل المدبر من الجسم المطيع

ولا تحجب نفسك عمن له شكوى يبثها . واسمع ما يبلغك من النصح والارشاد واعلم ان كل كلمة تطرق اذنك لها نفع في الحال او في المآل

وقد يجبر صاحب المنصب الرفيع على ذنوب يأتيها رغم أنفه . منها المهلة في انجاز الاعمال ، والتدني الى الرشوة ، والشدة واللين . ولئلا يتمكن منك حب المهلة في اداء ما يجب ، لا تحجب عنك من له شكوى يبثها ، ولا تخلف ميعاداً ، ولا تبدأ بعمل قبل ان تفرغ مما قبله ، ولا تمزج أمرين لا علاقة للواحد بالآخر ان استطعت ذلك سبيلاً

ولأجل ان تكون ذا عفة اربط يديك وأيدي غيرك ممن يأتمرون

بأمرك برباط القناعة . ومر نفسك ومرهم بأن لا يقللوا من مقدار نفوسهم ليكثروا من قدر ثروتهم . وكن غليظاً شديداً على من يهبك هبة لتعمل له عملاً . واذا كنت كاملاً عفوفاً فقد أمنت نفسك ومن يلوذ بك . ولا يرتدع من يحاول ان يرشوك الاَّ اذا أظهرت له الكمال والعفة ، وأبيت عليه التمليق والاكرام

ولا تجعل لأحد سبيلاً يمكنهُ من اساءة الظن بك . فان الشك اول مراتب اليقين . ومن شك في أمانتك لا يلبث ان يؤمن بخيانتك

واعلم ان من تناءى عن مشربه قد يحرّك نفوس أهل الشر والعدوان فيرتابون من أمره . فاذا شئت ان تحول عن مبدإ كنت بهِ معروفاً ، فلا تدع الناس يقولون ما لا يعلمون ، ولا تخفِ عليهم من أمرك شيئاً . ولا تقرّب اليك من هو أقل في المقدار فقد يظن أهل الشر انه واسطة في الشر وان المال يأتيك على يديه

واعلم ان الحدة والخشونة تولدان الكراهية والبغضاء . اما الصرامة والجفاء فتولدان الخوف والتبجيل . وكن اذا شئت ان تلوم من يستحق اللوم مهاباً وقوراً ولا تكن قادحاً مهيناً . ولا تكن ليناً فتعصر فان اللين يورث الذل والهوان . ومن يسرف في تبجيل الناس فقد أودع نفسه في أيديهم أسيراً

وللشهرة تأثيرٌ في خلق الرجل . وكان أحد الحكماء يقول : إنَّ أكابر الرجال صناديق مقفلة مفاتيحها الارتقاء الى ذروة المجد . فاذا بلغ أحدهم غايته ، فتح وبان ما فيهِ ان خيراً فخيرٌ وان شرّاً فشرٌّ

وبلوغ ذروة المجد يصلح النفوس الخيّرة ويفسد نفوس أهل الشرّ. وأنتَ ترى شبيه الشيء منجذباً اليـهِ . فان كانت نفس الرجل كريمة جذبها الخير ، وان كانت شريرة جذبت اليها الشرّ . وليس للفضيلة الكامنة في النفوس مكان سوى المجد والشرف . ولذا ترى النفوس الكريمة وهي قبل ان تصل الى ما تعلل بهِ نفسها متقدة مشتعلة ، فاذا بلغتهُ اطمأنت وسكنت اليهِ كما يسكن الطفل الى صدر أمهِ

واعلم ان سبيل المجد وعرٌ . فارتكن فيهِ الى من يعضدك حتى تصل الى غايتك ، فتستطيع ان تقف آمناً شرَّ السقوط . واذا جاء ذكر من سبقك فاذكره بالخير فان في ذلك خيراً لك ولهُ

واذا كان لك رفاق في عملك ، فكن معهم رقيق الجانب ، ليّن الخلق حسن العشرة . ولا تأنف من ان تشاورهم في الأمور ، ولا تكن في كل حال مستقلاً برأيك . واذا كنتَ مع قوم في حديث لا دخل له بعملك فاطرح العظمة جانباً وابدُ لهم كما يبدو الرجل الكريم

***

٢ — جمال الوجوه

جمال الوجهِ مع قبحِ النفوسِ كقنديلٍ على قبرِ المجوسِ

إنَّ النفوس الجميـلة كالجواهر الكريمة ، لا يبدو بهاؤها الاَّ اذا رُصّعت في قالب خلوٍ من التزيين والتحسين. وان طلعةً ترى فيها الهيبة والجلال خيرٌ من محيا ترى فيه البهاء والجمال

ولقد يندر ان ترى رجلاً ذا جمال فائق قد نال المكرمات وحاز الفضائل . وكأن الطبيعة شاءت ان يكون ذو الجمال خلواً من العيوب الظاهرة ، ولكنها لم تشأ ان يكون جميلاً كاملاً . ولذا أنتَ لا ترى بين أهل الجمال رجلاً ذا نفس كبيرة او عقل عظيم . وانهم يفضلون التأدّب والاحتشام على السموّ والعظمة . ويتمنى أحدهم ان يكون مكان الاجلال والاكرام . ولا يرجو ان يكون قابضاً على صولجان دولة الأقلام

ولقد حفظ لنا التاريخ ذكر كثيرين ممن جمعوا بين جمال الوجوه وكرم النفوس . فقد كان القيصر اوغسطس قيصر الرومان أجمل أهل زمانه . وكان اليونان يفاخرون الأمم بجمال السيباديس . وكانت أمة الفرس تضرب بجمال سلطانها اسماعيل الأمثال

وليس لون الوجه وحسن تقاطيعه ورقة الانسان ورشاقته تكفي لأن يكون جميلاً ؛ لأن الجمال معنى لا يستطاع التعبير عنـهُ ، وليس في في قدرة المصوّر البارع ان يظهره في صورته . وقد لا يبدو ذلك المعنى الاَّ بطول المشاهدة

وليس الاحكام في الخلق جمالاً . وانك لا تجد الجمال النادر المثال الاَّ في شيء لم يبلغ فيهِ الاتقان حدَّه

ولقد زعم (أبُلس) المصوّر أنهُ يصوّر أبدعَ الوجوه اذا ما أضاف الى عيون المهى أنفاً كالسيف أو أدقّ وثغراً كالدرّ والمرجان

وخطر ببال (ألبرت دورو) ان يخلق انساناً كامل الجمال اذا اعتمد في خلقهِ على التناسب في قياس الأعضاء

على ان مثل تلك الصورة لا تنال رضى غير مبدعها

وليس من المحال ان يصوّر مصوّرٌ وجهاً فيهِ من الجمال ما لم نرَه من قبل. على ان مثل ذلك الوجه لا تكون للفن او للصنعة فيهِ يد، انما يكون خالقه قد أُلهم إلهاماً إلاهيّاً كما يوحى الى الشاعر بالمعاني والى المغني بالأنغام وانك ترى وجوهاً ليس للإحكام فيها أثرٌ واذا نظرتَ اليها وجدتَ بها من الجمال ما لا تجده في سواها

وليس للشباب يد في الجمال . وان صدق قول القائلين بأن رشاقة الحركات أصل كل جمال لكانت المرأة البالغة من العمر عتياً أجمل من الفتاة اليافعة لأنها نالت من الرقة والرشاقة حظاً أوفر

وقد جاء في المثل السائر ان الشباب جمال وقد يحق ذلك القول على الشباب اذا عُدَّ جمالاً ، لأنهُ ستار للعيوب والجمال كثمر الغيظ لا يلبث ان ينضج حتى يبلغهُ الفساد . وقد يكون الجمال والشباب مفسدة للمرء أي مفسدة

ولو كان الجميل فاضلاً بانت فضائله كالشمس التي تكامل ضوؤها . ولو كان ناقصاً بدا نقصه كالغيم في السماء الصافية

نقله عن الانجليزية

محمد لطفى جمعه المحامى

في رياض الشعر

﴿ الشامية ﴾

نشرنا في سنة « الزهور » الثانية ص ٩٠ رسم الأخوين الشاعرين تامر بك وشبلي بك ملاَّط . وأشرنا الى مرض الاكبر منهما الذي أصيب بذهول في عقله . وهو لا يزال في دائهِ يُنشد الشعر المطرب من حين الى حين عندما يفيق من ذهوله . وقد جاءتنا هذه القصيدة البديعة قالها شاعرها العبقري في مرضهِ :

روحي فِدى ظبياتِ الشامِ والشامِ   ولو كلفنَ ولوعاتٍ بإعدامي
بين البريد وجابيها على كثبٍ   أضعتُ قلباً معنّىً نضوَ أسقامِ
ما أنسَ لا أنسَ اذ بالجزع من بردَى   صوبُ اللجين يباري مدمعي الهامي
تمرُّ ريحُ الصبا بالروضِ حاملةً   للكوثر العذبِ ريّا عرفهِ النامي
وزاجل الماءِ يروي للنسيم ضحىً   بردَ الحنانِ بتلحين وأنغامِ
واشٍ ينمُّ ونمّام يشي أبداً   أحبِبْ بذينك من واشٍ ونمّام

***

يا ظبيةً زوَّدتني نظرةً تركت   روحي تسيلُ على أطرافِ أقدامي
ما ضرَّ بالشامِ لو ثنّيتِها فمضت   بمهجتي وانقضى تبريحُ آلامي
أنتِ المكسّرة الأسيافَ صائلةً   بمرهف النصل ماضي الحدّ صمصامِ
وما تخذتِ شعار السيف في لقَبٍ (١)   الاّ بجامع فتك الصارم الظامي
مكسور جفنكِ لو جرّدتِ باترَهُ   يبري صحاحَ المواضي بريَ أقلامِ
لو تعرضين لذي مسحٍ بصومعةٍ   في القدسِ منقطعٍ بالنسك قوّامِ

---

(١) اسم الحبيبة هند

أعطاكِ أجمع ما صلّى منـاجزةً بنظرةٍ من صبيحٍ منكِ بسّامِ
وراح يمسح عثنوناً وعنفقةً تيـه المقامرِ لاقى نجحَ أزلامِ
ولو سموتِ لذات الرملِ سافرةً بسفحِ دُمَّرَ أو في هامة الهـامي
ظنّتكِ جؤذرَها الوسنانَ فابتدرتْ تدعوهُ بين يعـافيرٍ وآرامِ

☆ ☆ ☆

ما الروض باكره طلٌّ فرتّله كاللؤلؤ الغضّ من زهر وأكمامِ
أبهى وأطرب نشراً منكِ ناضيةً بكلةِ الخدر ذا وشيٍ وأعلامِ
لو في الملاحةِ عن شمس النهار غنى كُفيتِ رمضاءها مستوطن الشامِ

☆ ☆ ☆

يا ظبية الشام ردّي قلبَ مكتئبٍ أو شاركيـه بوجدٍ جارحٍ دامِ
ولستُ أطمع في قربٍ بخلتِ بهِ خوف احتراقكِ في مستوقد حامِ
أصبحتُ جذوة نارٍ تلتظي لهباً ستبصرينَ رمادي بعـد أيامِ

(لبنان) **تامر ملاط**

﴿ الأسد الباكي ﴾

نظم الشاعر هذه القصيدة منـذ سنتين ، وهو معتزلٌ في « عين شمس » للاستشفاء من داءٍ ألمَّ بهِ ، وسألناه يومئذٍ نشرها في « الزهور » فاعتذر بأنها من الخصوصيات التي ينظمها لنفسه . وكان بعد ذلك ان امتدَّت اليها احدى الأيدي على غير علمٍ من الشاعر وتلاعب بها النسَّاخ ، فنشرت في بعض صحف سوريا وأميركا مبتورة مغلوطة ، ونُسب فيها الى ناظمها أغراضٌ لم تخطر له ببال . فلم يسع الشاعر والحالة هذه الاّ ارسالها الينا لنشرها على حقيقتها

دعوتُك استشفي اليـكَ فوافِني على غير علمٍ منك أنكَ لي آسي

فإن ترَني والحزنُ ملءُ جوانحي　　اداريه فليغررك بشري وايناسي
وكم في فؤادي من جراحٍ ثخينةٍ　　يحجّبها بردای عن أعين النـاسِ
تخذتُ لهمّي « عين شمس » مباءةً　　فثمّتَ إضحـائي فريداً واغلاسي
يخالون أني في متاعٍ حيالهـا　　وبئس متاع الحيّ جيرة ديمـاسِ
أرى روضةً لكنهـا روضةُ الرّدى　　وأصغي وما في مسمعي غير وسواسِ
وأنظرُ من حولي مشاةً وركّباً　　على مُزجَيَاتٍ من دخانٍ وأفراسِ
كأني في رؤيا يزفُّ الأسى بهـا　　طوائفَ جنٍّ في مواكبِ أعراسِ

٭٭٭

وما « عين شمس » غير ما ارتجل النهى　　بقفرٍ جديبٍ من مبـانٍ وأغراسِ
بنوها فأعلوها وما هو غير أن　　جرتْ أحرفٌ مرسومة فوق قرطاسِ
بدت إرَمٌ ذات العمـاد كأنها　　من القاعِ شدَّتها النجومُ بأمراسِ
كفتهـا ليالٍ نزرةٌ فتجدَّدت　　ثوابت أركانٍ رواسخ آساسِ
وغالط فيهـا البمثَ ما خالط الحلى　　بهـا من ضروبٍ محدثاتٍ وأجناسِ

٭٭٭

هنـاك أُبيحُ الشجوَ نفساً منيعـةً　　على الضيم مهما يفللِ الضيم من باسي
يمرُّ بيَ الأخوانُ في خطراتهم　　أولئك عوّادي وليسوا بجلاّسي
أهشُّ اليهم ما أهشُّ تلطفاً　　وفي النفس ما فيها من الحزن والياسِ
ذروني وانجوا من شظايا تصيبكم　　اذا لم أطقْ صبراً فأطلقتُ أنفاسي
فاني على ما نالني من مساءةٍ　　لأرحمُ صحبي ان يلمَّ بهم باسي
ذروني لا يملكْ وجيبي قلوبكم　　اذا مرَّ ذاك الطيف وادَّكر الناسي
فتـالله لولا ذلك الطيفُ والهوى　　لهُ مُسعدٌ لم يملكِ الدهرُ اتعاسي
ذروني أحسُ الخمر غير مُنفّرٍ　　عن الوِردِ منهـا نِفرةَ الطائرَ الحاسي

فرُبَّتَ كاسٍ عن شفاهي رددتُها وقد قتلَ الدمع السُلافة في الكاسِ
ذروني أنكسْ هامتي غير متقٍ ملامة رُوَّادٍ وشبهة جُوَّاس
في حرَّةٌ بكرٌ ضلوعي سياجها أراشَ عليها سهمهُ معتدٍ قاس
أُعيدُ اليها كلَّ حينٍ نواظري وأخفضُ من عطفٍ على جرحها راسي

⁂

يكادُ يبثُّ المجدَ ما لا أبثُّهُ من السَقمِ العَوَّادِ والسأمِ الراسي
أنا الألم الساجي لبُعد مزافري أنا الأملُ الداجي ولم يخبُ نبراسي
أنا الأسدُ الباكي أنا جبلُ الأسى أنا الرمسُ يمشي دامياً فوق أرماسِ
فيا منتهى حبّي الى منتهى المنى ونعمةَ فكري فوق شقوة احساسي
دعوتُك أستشفي اليكَ فوافني على غيرِ علمٍ منك أنك لي آسي

خليل مطران

﴿ النيل السعيد ﴾

صفت مرآتهُ وجلاهُ جالٍ فلاح كأنهُ ذوبُ اللآلي
وغازلت الحدائق شاطئيهِ وألقت فوقهُ خضرَ الظلالِ
فكم غصنٍ قد ارتسمت حلاهُ عليهِ تهزُّه ريحُ الشمالِ
كما ارتسمت على المرآة خود يرنّح عطفها خمرُ الدلالِ
وناحيةٍ برمانٍ أُظلّت وناحيةٍ بأعراش الدوالي
ونخلٍ باسقات كالعذارى تثنّى في غدائرها الطوالِ
خلعنَ الحسنَ منعكساً عليهِ فآنسنَ الحقيقة بالخيالِ
وحلّى ألسن الأطيار منهُ وقال لها اذكري باري جمالي
فجنَّ الطيرُ باسم الله حتى تدانى الله والسبع العوالي

فآمن بالبديعِ الصنعِ قلبي　وفاض الطرف بالدررِ الغوالي
وسار النيل يطلبُ وصل مصرٍ　وهل يُرضي المحبَّ سوى الوصالِ
تُضاحكه الغزالة في علاها　وبدرُ التمِّ في أوج الكمالِ
عذارى الغربِ قد سحتنَّ شرقاً　وغرباً للجنوب وللشمالِ
أمثل النيلِ شاهدتنَّ نهراً　تفرَّد بالمحاسن والجلالِ
لئن كان الأُلى عبدوهُ ضلّوا　فربَّ هدايةٍ تحت الضلالِ
أحبُّ النيلَ حبَّ أبي وأمي　وأهوى مصرَ فوق دمي ومالي
وبي عن كلِّ مشروب حرامٍ　غنى برضابهِ العذب الحلالِ
رضعتُ هواه في مهدي صغيراً　وحينَ أشابت الدنيا قذالي
بلادي لا أروم بها بديلاً　ولو أُسكنت في روض المآلِ
وما فكّرت في الأهرام الاَّ　بكيتُ مفاخرَ الحجج الخوالي
فلولا يمسك التوحيدُ ركني　سجدتُ لتلكم الرمم البوالي
بودّي لو قرعتُ صفاة همي　بأمثال الجبالِ من الرجالِ
فبي وخزٌ من الأيام جافٍ　على جرحٍ قريب الاندمالِ
أيمضي الدهر لا ميت فأنسى　ولا أشفى من الداء العضالِ
وما لي لا أرى الاَّ ظلاماً　يكاد يغضُّ من نور الهلالِ
وما بالي أهمُّ بما أُرجّي　فتقعدَ بي على نضو رحالي
بمن يا نيل أرمي مَن رمانا　وقد خلتِ الكنانةُ من نبالِ

(حلفا)

محمد توفيق على

يوزباشي بالجيش المصري

نجيب وامين الحداد



الشيخ نجيب الحداد

قد كان لي جسمٌ رسمتُ خيالهُ حرصاً عليهِ قبل يوم زوالهِ
واليوم أوشك ان يزولَ من الضنى فأنا لكم أهدي خيالَ خيالهِ

في التاسع من شهر فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ ، أصيب الأدب العربي بركن من أركانه ، وبكى الشعر العصريّ أميراً من اكبر أمراء ديوانه ، بوفاة الشيخ نجيب الحدّاد من لا يزال الأدباء حتى اليوم يلقبونهُ بفقيد النظم والنثر ، لأنهُ أحيا موات كلتا الصناعتين وترك لنا من آثار منظومه ومنثوره ما يخلّد له اكبر ذكر

لم تجاوز سنو حياة النجيب الاثنتي والثلاثين ، لكنهُ وضع فيها من

الروايات والمقالات والقصائد ما لا نعرف ما يوازيه قدراً ومقداراً من مؤلفات كتّاب العصر

لم يمضِ على وفاتهِ الاَّ ثلاثة عشر عاماً وبضعة أشهر، حتى راشت المنية سهماً جديداً ورشقتهُ الى تلك الأسرة فأصابت كبد شقيقه الشيخ امين، وقد اغتالت في هذه الفترة، بين موت الشقيقين، خالهما اديب العصر الأكبر، الشيخ ابراهيم اليازجي، آخر أنجال الشيخ ناصيف، فكانت خسارة الأدب بالثلاثة فادحة، وكانت صفقة الموت بهم رابحة

شعرَ الشيخ امين في السنة الغابرة باشتداد التعب عليهِ، فسافر في أوائل هذا الصيف الى جبل لبنان للراحة والاستشفاء، فما ردَّ وطنه عنه مقدوراً، ولا أكسبهُ راحة، ولا جاد عليهِ بالشفاء من الداء، فمات في عين قني من قضاء الشوف، بعد ان ارتوت نفسه من مرأى وطنه، وشبعت عيناه عن مناظر جباله ووهاده. الشيء الذي مات اخوه نجيب متشوقاً اليهِ، متحسراً عليهِ، فقال وهو محتضَر:

مات النجيب فأرّخوا قبراً له　　قد مات مشتاقاً الى ابنانِ

***

وُلد الشيخ امين في بيروت سنة ١٨٧٠ بعد ميلاد شقيقه الشيخ نجيب بثلاثة اعوام، ومات وهو في الثانية والاربعين من عمره، فكان نصيبه من هذه الحياة عشر سنوات اكثر من نصيب أخيهِ. وقد تلقى دروسه الأولية في مدارس سوريا، وأخذ العربية كشقيقهِ عن خاليهِ المشهورين ابرهيم وخليل اليازجي



الشيخ امين الحداد

تمتّعتُ من دهري بما هو حاصلٌ سواءٌ لديَّ الغرمُ فيـهِ أو الغنمُ
وما كنتُ من أهل اليسار وانما لقد كان همي انني ليس لي همُّ
أتيتَ ولا تدري وها أنتَ سائرٌ الى حيث لا تدري فحسبك تهتمُّ
وخذْ فرَص اللذاتِ قبل فواتها ألم ترَ ان الجسم يخلفهُ رسمُ

نظم طانيوس عبده

وكان أول عهده بالصحافة في جريدة « الاهرام » التي ظلّ أخوه يحرّر فيها عشر سنوات على أيام المغفور لهما سليم بك وبشاره باشا تقلا . ثم انفصل الأخوان عن الجريدة المذكورة ، واشتركا في انشاء جريدة

«لسان العرب» الشهيرة سنة ١٨٩٤ . فأصبحت حياتهما الادبية مشتركة. وهما في ذلك العهد ، يذكرانا بمعيشة الأخوين الشاعرين بطرس وتوما كورنيل ، اذ كانا ينظمان وهما في منزل واحد ، فينادي الواحد الثاني عندما تعصاه القافية . «يا أخي أعرني قافيةً »

وقد كتب الشيخ امين فصولاً شائقة على صفحات «الجامعة العثمانية» وجريدة « السلام » ومجلة « أنيس الجليس » . ثمَّ دخل في جريدة « البصير » لصاحبها رشيد بك شميّل ؛ وظلَّ ثلاثة عشر عاماً يدبّج فيها من المقالات الرنانة ، والملح الأدبية المستظرفة ، ما حمل البعيد والقريب على الشهادة له بسرعة الخاطر ، والرشاقة في التعبير ، والسهولة في التفنن بأساليب الانشاء والشاعرية الحقيقية ، ومضاء القريحة

وقد اتفق كلّ من عرف الأمين على وصفهِ بكرم الأخلاق ، ولطف العشرة ، وخفة الروح ، ورعاية الذمام ، والقناعة والتواضع والبعد عن كل تظاهر . وقد سألنا حضرة الشاعر طانيوس افندي عبده — وقد كان رفيق الاخوين الشاعرين وثالث هذين القمرين — عن رأيه في الشيخ امين ، فأجابنا بالابيات الاربعة التي تراها تحت صورة الفقيد ، وقال: هذا هو الشيخ أمين وهذه هي حياته وليس لي من الابيات الا نظمها

ولئن بكى فيهِ الأدب كاتباً بليغاً وشاعراً رقيقاً ، فان اصدقاءه يبكون فيهِ فوق ذلك ، خلاً وفياً وصديقاً صدوقاً

في اول سنة ١٩١١ اقترح الأديب محمود افندي ابرهيم ، صاحب « الاكسبرس » الاسكندري ، على فريق من الكتّاب أن يعربوا عن أمانيهم في

مطلع العام الجديد ، فكتب المرحوم الشيخ امين الحداد نبذةً في هذا الموضوع أحببنا نشرها للقراء لأنها تنمُّ ، من وراء ستار الهزل ، عن مللٍ من الحياة وتعبٍ من العمل ، كأن صاحبها كان يشعر بدنو أجله ، وقد تحققت امنيته لسوء الحظ ، ورقد رقاده الأخير مستريحاً راحة ابدية ، قال رحمات الله عليهِ :

أنت تعلم أنني منذ عشرين سنة وأنا خادم في دولتين عظيمتين خدمة لم تنقطع يوماً واحداً ، وهما دولتا الصحافة والكأس . بل اذا سامحتني دولة منهما يوماً أو بعض يوم ، كان ذلك مخصصاً لخدمة الدولة الأخرى . ولقد ترى حصان المركبة يُحلُّ لجامه ، ويُطلق الى المراتع ليستأنف حياته ونشاطه ، بل لقد ترى أمواس الحلاَّق ، وهي جماد ، تُراح من العمل لتستعيد حدتها ورهفها . اما خادم هاتين الدولتين فلا يُسمح له بشيء من ذلك ، بل لقد اكون أنا المخصوص دون سائر الزملاء بهذه المهنة (التي تبِعَتها عليَّ وليس لي منفعتها) . فلطيور السماء أوكار ، ولثعالب الأرض أوجار ، وأما هذا الخادم فليس له مكان يضع فيهِ رأسه ليستريح الا ان يكون ذلك الموضع الاخير ، وربما يكون في احدى زوايا «البصير» لذلك تراني لا أتمنى في سنة ١٩١١ الا ان أُحال على المعاش في احدى هاتين الدولتين ، ولكنني أتمنى معاش الصحافة ، فقد خدمت دولتها اكثر جداً من دولة الكاس التي لا يزال لها عليَّ ديون وحقوق . فهل «للاكسبريس» ان «يسرع» في تحقيق هذه الامنية لهذا «المتأخر» الذي طال انحباسه ، وضاقت أنفاسه ، وملّت من الانتظار كاسه

امين الحداد

حياة الأخوين



١ — سعيد الشرتوني

ويراعةٍ فُجعت بفقد وحيدها كالأُم قد فُجعت بفقدِ وحيدِ

كلُّ المصائبِ هيّناتٌ عندَها إلاَّ المصيبةُ بالإِمام سعيدِ

في التاسع عشر من شهر آب الفائت فجعت اللغة العربية بعلمٍ من أعلامها العالية ، الامام الكبير المغفور له الشيخ سعيد الخوري الشرتوني، رافع لواء الفصاحة والبيان في الربوع السورية ، ومعزّز فن التأليف بما انشـأه من الكتب الجمة الغزيرة الفوائد على المدارس العامية

وهو أحد الافراد الذين تجود بهم فلتات الزمان حيناً بعد حين ، فيحدثون انقلاباً في ما تركه الأولون للآخرين

« حياتهُ » — وُلد صاحب الترجمة في بلدة شرتون نحو سنة ١٨٤٧ ؛ وأبوه عبد الله بن ميخائيل بن الياس ابن الخوري شاهين الرامي . كان وهو صبي كثير الزيغان فساقهُ زيغانهُ الى قتل احدى قريباتي . وحديث الأمر انهُ كان لنا بين بيتنا وبيت عبد الله بلوطة جاءتها مرَّة الصغيرة ياسمين ابنة عمّ أبي ، وصعدت اليها تقطف البلوط ؛ فبصر بها سعيد فانتهرها ، فأبت النزول بحجة ان البلوطة مُلك عمها ، فكان انهُ أسرع الى البيت وأتى بالبندقية المحشوَّة وأطلقها على الابنة فسقطت من علُ لا حراك بها . . . تراوحتُ متردّداً في ايراد هذه الحكاية ، فرأيت أنَّ من الوفاء بالتاريخ ايرادها على حين انها ليست غباراً على حياة الفقيد لصغر سنّه حينذاك . فأرسله أبوه الى مدرسة عبَيه ، حيث تلقّن مبادئ العربية فقط ، ثم شرع بالمطالعة لنفسهِ بما فيهِ من الميل الى العلم . ودرّس برهة في مدرسة عين تراز للروم الكاثوليك ، ثم عقد وأبي العزيمة على غشيان بغداد للتدريس فيها ، فجاءت الانباء بانتشار الوباء فيها فانثنيا ، وارتحل سعيد الى الشام حيث درّس زماناً ، ثم هبط بيروت واشتغل عند اليسوعيين في العلوم العربية ، ونبغ وأجاد . فألَّف عندهم ونقّح وصحّح طائفة من الكتب المفيدة . ولبث عندهم زماناً طويلاً ثم بعد ذلك درّس بعض السنين الصف الأول العربي في مدرسة الحكمة المارونية فأتاح لي الحظ ان اكون من بعض تلاميذه . ثم استسلم الى الراحة متنكباً منابر

التدريس دون التأليف ، فانشأ وهو منزوٍ في بيتهِ عدة تآليف ناضجة سيأتي الكلام عليها . وقد اشترى منذ عام بيتاً في « فرن الشباك » تحوطه قطعة من الرزق كان يدير زراعتها بيده . وما هي الاَّ ايام حتى ألمّت بهِ حمى في المعدة انجلت تاركة وراءها ألماً شديداً في رقبتهِ من جهة الكتفين ، فأضعف الألم المستديم جسمه وهدّ سلامة بنيانه

« من صفاتهِ وأحاديثهِ » — من صفاتهِ الرزانة والتروّي واعتزال ضوضاء العالمين والتواضع والأنس ولطف الحديث ، ومن صفاتهِ الاقتصاد وله أحاديث مأثورة يضيق المجال عن سردها ولا بأس بحديث منها . حدثني مرة قال : زارني المغفور له الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وكان الانكليز قد احتلوا مصر جديداً ، فسألتهُ عن الخطة التي ينوي اتباعها مع المحتلين ؛ فأجاب بالرغبة في معاكستهم فأشرتُ عليهِ بموالاتهم لما هم عليهِ من بسطة البأس والسلطان فتستفيد مصر من الموالاة ولا تستفيد من المعاكسة : قال فأجابني الشيخ : أصبت واني فاعل كذلك

« علومه » — يمتاز صاحب الترجمة بعلوم الصرف والنحو وعلوم المعاني والبيان والبديع وبعلم اللغة وأساليب الانشاء ، وهو في كل ذلك صاحب الإمامة يؤخذ بقوله ويركن اليهِ وله في ذلك التآليف الجمة الجليلة التي طافت المدارس وتصدَّرت في مكاتب الأدباء ، ولم يكن يعرف من اللغات أولاً سوى العربية وقد لجَّ بهِ الشوق الى تفهُّم الافرنسية وهو أبيض الناصية ، فأكبَّ عليها ودرسها درساً يصل بهِ الى الترجمة منها ، فوصل ، وترجم قوانين يوستينيانوس ونشرها في مجلة المقتطف . وقد نظم

الشعر رغماً عن عدم انطباعه عليهِ فأجاد في بعضهِ من ذلك أبيات كتبها تحت صورته مع عائلتهِ امرأته وبناته الثلاث قال :

رسمٌ يمثّلنا والشملُ مجتمعٌ والعيشُ صافٍ وظلُّ الخير ممدودُ
وهذه الحالُ أقصى ما يؤمّلهُ حيٌّ من الخلق بالآفات مقصودُ
لكنَّ فرقتنا لا بدَّ واقعةٌ يوماً فيُفصلُ عن أثمارهِ العودُ
فنسأل الله جمعاً بعد تفرقةٍ في جنّةٍ وجميلُ العَود محمودُ

وقد ازدادت هذه الأبيات اليوم مسحة من الجمال لانفراط الشمل بموت اثنتين من بناتهِ الصبيّات وبلحاقه بهما

ومن نظمهِ قوله من قصيدة وداعٍ

وداع لذيذاتِ الحياة وداعكم فليسَ على شاكي التفرّق من عَتْب
يجرّعنا هذا البعاد مرارة على قدر ما ذقنا الحلاوة في القربِ

« مؤلفاته والحكم عليها » — ان الدهر الآتي حكمٌ عدل في كتابات المنشئين ، يطرح الغث ويبقي السمين ، فقد ينال زيد مثلاً في الكتابة والنظم صيتاً طنّاناً لجاهٍ عريض فيهِ أو لمال كثير عنده ، لا لبلاغةٍ في كلامه ؛ حتى اذا مات ومات جيله ، أنصف الدهر في كتاباته العارية من سياج الجاه والمال ، فتناولها ومحاها . وقد يموت كاتب فقير فتبقى كتاباته على هام الدهر لبلاغتها وعلوّ طبقتها . أما سعيدٌ رحمهُ الله فأرى ان كتاباته من الخالدات . ومؤلفاته عديدة منها كتاب (الشهاب الثاقب في صناعة الكاتب) وهو عبارة عن رسائل في جميع أبواب المراسلة ، انشأها والنفوس الى مثلها ظمأى ، ولم يتحدَّ فيها طريقة التصنّع

والتكلّف والسجع والكلام الكثير في المعنى القليل ، بل تحدّى الانشاء المرسل من السهل الممتنع . وله رسالة انتقد بها كتاب النحو الذي وضعهُ يومذاك المرحوم احمد فارس الشدياق . وهو المصحح كتاب بحث المطالب في النحو ومعلّق حواشيه ، والمصحح ديوان المطران جرمانوس فرحات وشارحه . ولم أرَ الشيخ مجيداً في تصحيح هذا الديوان لما فيهِ من المغالط الشعرية المتعددة والجوازات القبيحة

ومن مؤلفاتهِ كتاب « المعين » للتلميذ وللمعلم وقد أحسن في وضع هذا الكتاب لما فيهِ من الطرق الرحيبة الموصلة الى مواطن الانشاء ؛ وقد اردف (المعين) بكتاب (نجدة اليراع) وهو كتاب جمع فيهِ الجمل المترادفة في وصف أمر أو شيء . وله كتاب (حدائق المنثور والمنظوم) وهو مجموعة من أطايب الشعر والنثر على نحو ما هو عليهِ مجاني الأدب وهو جزءان . ومن قلمهِ تصحيح أغلاط كتاب الألفاظ الكتابية للهمذاني ، وتصحيح ديوان ابن معتوق ، وترجمة قوانين يوستينيانوس ، ومقالات جمة من أحاسن الكتابات في المقتطف خصوصاً وسواه من المجلاَّت والجرائد . وفي آخر المدة وضع كتاب (مطالع الأضواء في مناهج الكتّاب والشعراء) وهو كتاب مدرسيّ في علوم المعاني والبيان والبديع ، وقد تبّسط في هذه العلوم تبسُّطاً يكاد يكون مملاً . غير انهُ فاق على سواه من المؤلفين في هذا الفن بأنهُ أردف هذه العلوم الثلاثة بقوانين الانشاء من مثل الذوق وانتقاء اللفظ والمعنى والمطالعة والتمرين الى غير ذلك من الأبواب الجميلة التي لم يطرقها مؤلف عربي سواه ، فجاء

كتاباً جليلاً للتعليم في المدارس ، وأردفه بكتاب في علم الخطاب ولم اقرأ بعد هذا الكتاب

يتضح مما تقدّم أن جميع الكتب التي ألّفها صاحب الترجمة وصححها مدرسية يستغني عنها المترسّلون في العلوم العربيـة الأ معجمه المشهور واسمه « أقرب الموارد » . وهو حتى الآن أكمل معجمٍ يصل بنـاشد الألفاظ الى ضالتهِ عن أقرب سبيل وفي أسرع آن ، على حين اننا في عصر أصبحت بهِ الكتاب تخطفُ الأوقات . وقد قرَّظه له أجمل تقريظ صاحب السعادة عبد الله باشا فكري وزير المعـارف في مصر سابقاً والمغفور له العلامة الشيخ محمد عبده

هذه حياة الشرتوني . فهي حافلة بالآثار العلمية الطيبة دالّة على ان الرجل استعمل الزمن الذي جازه بالعمل المتواصل ، ولم يكن لسعيدٍ من نظير في ذلك الاَّ المثلث الرحمات المطران يوسف الدبس الذي كان يعمل كل يوم سبع ساعات رغماً عن شيخوختهِ ومرَض بصره

وان حياة كتلك الحياة لقمينة بأن تكون مثالاً وضّاحاً لشبيبة هذا العصر ، فتعلم أن العلم لا يعطينا بعضه حتى نعطيه كلنا

والآن ألقي عليك أيها الراحل الكريم كلمات الوداع الممزوجة بعواطف الاحترام ؛ وثق أن لك من سلامة بيانك ، ونصاعة برهانك ، ونقاء فصاحتك ، ومضاء بلاغتك حارساً أميناً على كتاباتك من نقد النافدين ، وكفيلاً ضميناً على بقائها زاهيةً الى انقضاء العالمين



٢ — رشيد الشرتوني

ان رشيداً أخو سعيدٍ لأبيـه ؛ وُلد في بلدنا شرتون سنة ١٨٦٤ ، وأفضى الى ربهِ سنة ١٩٠٧ أي في روعة العمر وعنفوان النشاط اذ لم يكن له من العمر سوى ثلاث وأربعين سنة

تلقَّن مبادىء العربيـة والافرنسية في مدرسة مار عبده هرهريّاً ، ودرَّس حيناً في مدرسة عين تراز ومدرسة عينطوره ، ثم انقطع لخدمة العلم عند اليسوعيين في بيروت ، فكان يدرّس صف الخطابة في كليتهم ، ويحرّر جريدة « البشير » وكان في خلال ذلك يؤلف ويترجم ويصحح الكتب المفيدة ، حتى كانت أواخر سنة ١٩٠٥ ، فهبط مصر لخدمة العلم

فقضى فيها سنة جاء بعدها للاصطياف في لبنان ، فأدركه المرض في منتصف الليل ، وفي صباح اليوم أجرى له الدكتور هاش عملية جراحية فلم تنجح ، وقضى بين قلوب تتفطّر ودموع تتقطّر. وكان جميل الصورة غضّ الإهاب كثير اللطف جميل العشرة وفير المحبة لمسقط رأسهِ وأوطانه ، وكان كأخيه نشيطاً ، يصرف أوقاته بالعمل . فانهُ مع انصرافهِ الى التدريس والصحافة طول حياته ، تمكّن من تأليف بعض الكتب ، ولو أمدَّ الله بحياته ، لكان من اكبر خدمة العربية ومن أقطاب العلم والأدب ، وله فضل كبير على فئة كبرى من الناشئة التي أخذت عنهُ ونهجت منهجه في طلاوة العبارة وتحدّي الذوق فيها

وكان ضليعاً في اللغة ، علاّماً في علوم الصرف والنحو والمعاني والبديع والبيان والخطابة . وكان شديد النفرة من الكتب القديمة لهذه العلوم لما فيها من التفاصيل الفارغة التي تذهب بوقت التاميذ وتنحت من جلَدِهِ وعزمه ، فشنّ على ذلك غارةً شعواء وشمّر عن ساعد الكدّ لتأليف سلسلة كتبٍ في العلوم المذكورة على السياق الافرنسي . فوضع للصرف وللنحو سلاسل هي اليوم عمدة التدريس في المدارس الكبرى والصغرى في سوريا ، ولعلها في مصر أيضاً ، ولو استطالت حياته لأتى بالكتب المنوية لعلوم البيان على الطراز المُعلَم ، وهذه السلاسل المذكورة خير ما ألف ويؤلف النحاة للتدريس

ومن تأليفه كتاب المراسلات نحا فيهِ نحو اخيهِ سعيد في انشاء الرسائل المتنوّعة ، ولكنهُ دون كتاب أخيهِ حجماً وجمالاً . اما الكتب

التي ترجمها عن الافرنسية فكثيرة جداً منها تاريخ لبنان القديم ، ورواية بحيرة قدس . وهو الذي صحح ونشر الكتب التاريخية التي وضعها مؤرخ عصره المغفور له البطريرك اسطفان الدويهي ؛ وله كتاب (تمرين الطلاَّب) وهو مجموع تمارين لابناء التحصيل في الصرف والنحو وقد شاع استعمال هذا الكتاب لكثرة فوائده ، وله كتاب في المنطق لم ينشره

وقد أفاضت صحف البلاد في الكلام عنهُ بعد وفاتهِ ، وقد رثاه الصديق الأديب الشاعر احمد افندي تقي الدين بقصيدة منها :

أبنات الهديل لا تَذري بكاء الرشيد منسكبا
واندبي حظّه وحظّ فتىً عشق الكتب واصطفى الأَوَبا
شاحذاً للرقيّ عزمتــه في بلادٍ لا تُكرِمُ الأدبا

ورثاه هذا العاجز بأبيات منها :

صُحفُ البلاد وكان مهيع هديهـا صدعت بطاحن خطبهِ تبيينـا
نبأٌ تطاير في البلاد فهزَّهـا حسبتهُ ملبوساً وكان يقينا
أخذتهُ أعلامُ الجبال بصيحةٍ سمعت لها في الهابطات رنينا . . .
لم تزدحم من حولِ نعشك ألسنٌ ألفت بغير مماتك التأبينـا
وتراجع الادباء عنك لأنهم رهبوك يا أسد العرين طعينـا
خافوا سماعك ضعف قولهم وقد كان الكلام اذا نطقت سمينـا
مسكينٌ القلم الذي ايتمتهُ مَن سوف يرحم ذلك المسكينـا

أفاض الله عليهِ سجال رحمتهِ وأحصاه بين أصحاب اليمين

(لبنان) محبوب الخوري الشرتوني

أزهار وأشواك

خليل بعد حافظ

النعَم على ادبائنا تتوالى تترى من حكومة أفندينا العباس . في العامين السابقين عيّن فريق منهم في نظارات الداخلية والمالية والمعارف والحقانية والأوقاف وسائر دواوين الحكومة ؛ وقد قلتُ كلمتي بهذا الشأن في حينها . وجاء في هذا العام دور الرتب والنياشين فكانت فاتحتهُ رتبة حافظ ، وقد تلاها الآن نيشان خليل مطران . والآتي للآتي ان شاء الله . . . مثل هذه الرتب والأوسمة لا تحلّي مثل تلك الصدور وفيها من درر المعاني ، وجواهر الافكار ما يزري بقلائد النحور . بل هي تكتسب من الرونق والبهاء ، ما لا يكون لها وهي على غير صدر الفضلاء والأدباء . فان أوسمة الشرف على صدر من لا يستحقّها كالطغراء السلطانية على النقود الزائفة ، أو كالتمثال البديع على قبرٍ يضمُّ عظاماً نخِرة . أما الوسام المجيدي وقد عُلّق على صدر الخليل فكانهُ رُصّع بأغلى الجواهر وأثمن الأحجار . فليهنأ النيشان باستوائهِ على صدر المطران

تذكار الأدباء

اذا كنتُ قد ضفرت من أزهاري باقاتٍ وأ كاليل قدَّمتها الى من بسم لهم ثغر التوفيق من أدبائنا . فقد حفظت من تلك الازهار أبهجها وأنضرها لأنثرَها مُطَّبة بدموع الذكرى على ضريح من اغتالهم غائلُ المنية ممن سالت أرواحهم الزكية من شق تلك القصبة . . . تُقام الحفلات تباعاً ، شائقةً رائقة ، لاكرام كبار ادبائنا وتهنئتهم بظهور فضلهم ، ولنعم العمل عمل القائمين بهذه الأعياد الأدبية . على ان لأدبائنا الأموات كذلك حقًّا علينا يجب ان لا نتغاضى عنهُ . وهل الى التغاضي من سبيل وقد كان لنا بمن فقدنا في هذا الصيف تذكير شديد : مات الشيخ أمين الحداد فذكّرنا فاجعة الأدب بأخيه « النجيب » فوجب على أدباء وادي النيل ان يخلّدوا ذكرى الأخوين الشاعرين . وحملت الينا أنباء لبنان نعي الشيخ سعيد

الشرتوني ، فأعادت لاعج الأسف على شقيقهِ « الرشيد » فتحتم على أدباء الشام ان يحيوا اسم الشقيقين العالمين اللغويين . وهذا عثمان بك جلال ، كاد يكون نسيًا منسيًا لولا ان همة جوق أبيض أبرزت لنا على مسرح عباس طائفة من رواياتهِ التمثيلية هي كالخرائد جمالاً وجديرةٌ بأن تحيي اسم صاحبها الأديب . وهذا الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب الأيادي البيضاء على لغة الاعراب ، سيحتفَل قريباً بنقل رفاتهِ من مصر الى لبنان ، لترقد بقاياه مع بقايا أبيه واخوتهِ في لحد واحد . . . فالفرصة اذن موافقة لإحياء ذكر ادبائنا الذين غيَّبهم القبر ، كما هي موافقة لتهنئة الذين افترَّ لهم ثغر الدهر

ولئن سرَّني تأليف اللجان في بيروت ولبنان برئاسة الآنسة الذكية سلمى أبي راشد مديرة جريدة « النصير » للقيام باستقبال رفات اليازجي بما يليق ، فقد ساءني ان أرى الشرتوني الكبير والصغير يذهبان ، ولا أرى كلمةً فيهما لأساتذتنا الأعلام كعبد الله البستاني او جبر ضومط ، كما انهُ عزَّ عليَّ ان نفقد الأمين بعد النجيب ، ولا يقوم من بين أصدقائهما — ولا أسمّي — من يتحفنا ببحث تاريخي أدبي انتقادي عن آثارهما الكتابية

التمثيل العربي

من الكرسي الخاص بمجلة « الزهور » في « تياترو عباس » حضرت كل الروايات التي مثّلها « جوق أبيض » فشاهدتُ : الأحدب Le Bossu لفيڤال ، ومضحك الملك Le Roi s'amuse لڤيكتور هوغو وقد ترجمها الياس فياض ، والساحرة La Sorcière لڤيكتوريان ساردو ، وترجمتها لفرح أنطون ؛ والشيخ متلوف Tartuffe ، والنساء العالمات Les Femmes Savantes ، ومدرسة الأزواج ومدرسة النساء L'Ecole des Maris, et L'Ecole des Femmes من وضع موليير الشهير وترجمة المرحوم عثمان بك جلال . . ليلات ستّ رأيتُ وسمعت فيها أبهج ما ترى عين الأديب ، وأطرب ما تسمع أذنه : مناظر بهية ،

ومجتمع راقٍ ، حِكم بليغة ، وملاحظات دقيقة مسبوكة في ألطف قالب وأبلغ اسلوب فاجتمعت لذة البصر والسمع والعقل . كلّ روايةٍ من تلك الروايات ترمي الى تمجيد احدى الفضائل ، أو شجب بعض الرذائل بطرق متنوعة تتراوح بين الهزل والجد : فهذا يهذّب نفسك والابتسامة على ثغرك ، وذاك يرقي عواطفك والدمعة في عينيك فلكلّ مؤلّفٍ أسلوب ، ولكلّ أسلوب طريق الى القلوب . هذا ما شعرنا بهِ في ليالي أبيض ، وهذا ما رأيناه بأم العين بعد ما سمعنا بهِ من تأثير الروايات في رقيّ الشعوب . ومقابل ما وجدنا من اللذة ، وجنينا من الفائدة في تلك الليالي الغرّ ، أزفُّ كلمة تهنئة وكلمة شكر الى جورج أبيض على الخطوة الكبيرة التي خطاها في هذا الفن [1] ، وأشرك معهُ من التفَّ حولهُ من الممثلين والممثلات ، ولا مجال لديَّ اليوم لأذكرَ كلّ من يستحقُّ الذكر . كلمة التهنئة والثناء واجبة أيضاً لمن ألبس تلك الروايات الافرنجية حلةً عربيـة قشيبة . فقد عرفنا قلم الفيَّاض كاسمه فيَّاضاً يتدفق بالمعاني كسلسبيل الماء ، ويتفجر منهُ الكلام وكله عذوبة وسهولة وصفاء . ورأينا من بيان منشىء الجامعة في « الساحرة » سحراً يفتن الألباب . أما المرحوم عثمان بك جلال الذي نقل روايات موليير « بالزَجَل » وجعل موضوعها بلديًّا ، فقد دلّنا الى ما يمكن استخراجه لمسارحنا من تلك اللغة العامية المملوءة جزالة وعذوبة والى ما فيها من النكات والتلاعب بالألفاظ مع سهولة فهمها وطَبَعية التخاطب بها . وان في نجاح الممثلين الباهر في تلك الروايات وتصفيق الحاضرين المتواصل لأكبر دليل على ما أقول . ويا حبذا لو جاد الزمان بزجّال من طبقة عثمان جلال ، فانهُ ولا شك قادر على ادخال نوع الكوميدي الذي كنا نقنط من وجوده في لغتنا

ولا تنسيني كلمات التهنئة التي أصوغها للمثلين والمترجمين كلمة شكر خصوصية أوجهها الى رجل يدير كل هذه الحركة كالزنبلك ويكاد لا تراه عين عنيت عبد الرزاق بك

(١) في الجزء الثاني من السنة الاولى من الزهور ص ٦٥ تجد تاريخ أبيض ونشأته في التمثيل

وقصارى الكلام ان من بات يقول اليوم ان الفنَّ التمثيلي لم يترقَّ لا يكون حضر ليالي تياترو عباس ، واذا قال ذلك وكان قد حضرها فانهُ يكون من المتعنتين الذين يرومون ادراك الكمال بين عشية وضحاها ، ولا أريد ان اكون من أولئك

نعم ان كل ما شاهدناه في ليالي أبيض كان جميلاً ، ولكن كل ذلك يكلف مالاً جزيلاً . ومهما كان اقبال الشعب عظيماً فانهُ لا يفي بما هناك من النفقة . وهنا يبتدئ واجب الحكومة . . .　　حاصد

من كل حديقة زهرة

* اقترح أحد الكتاب على سبيل الفكاهة تأليف وزارة عامة من دول العالم على الشكل الآتي : هولاندا لرئاسة الوزاة . انكلترا لوزاة البحرية . الولايات المتحدة لوزاة الحربية . فرنسا لوزارة المالية . المانيا لوزارة الداخلية . تركيا لوزارة الخارجية . النمسا لوزارة المعارف . ايطاليا لوزارة الاشغال والصناعة . روسيا لوزارة الزراعة . بلجيكا لوزارة البريد . اليابان لوزارة المعادن والغابات . واسبانيا لرئاسة مجلس الأعيان . والبرتغال لرئاسة مجلس النواب . واليونان لكتابة الأسرار في الوزارة الداخلية — وقد ذكر الكاتب على هذه الطريقة ما امتازت بهِ كل دولة من الدول في الشؤون الاجتماعية

* لنا في كل يوم برهان جديد على توقد الذكاء الشرقي ، وتفوّقهِ في الفنون والصنائع، متى انفسح له المجال، وساعدتهُ الأحوال . وقد قرأنا في صحف أميريكا ان حكومة الولايات المتحدة أقرَّت على وضع نشيد وطني رسمي . فتبارى رجال الموسيقى في هذا الباب وأخذوا يضعون الأناشيد ، وفي جملتهم الموسيقي الشهير اسكندر افندي معلوف أحد المهاجرين السوريين . فوضع نشيداً دعاه « لأجلكِ يا أميريكا » ثم عرضهُ على دوائر المعارف في نيويرك وبوسطن ، فلاقى استحسان الجميع . وسئلت دوائر المعارف في جميع المدن الأميريكية الكبرى استعمال هذا

النشيد البديع في تمرينات التلاميذ اليومية ، ولم يبقَ لاتخاذه نشيداً رسمياً للبلاد الاّ موافقة مجلس النواب عليهِ . وروت الصحف أيضاً ان المستر تفت رئيس الولايات المتحدة سمع تلحين هذا النشيد فأعجب بهِ كل الاعجاب

* مثّل سعادة أحمد حشمت باشا ناظر المعارف الحكومة المصرية في مؤتمر التربية الدولي الذي عُقد في هذا الصيف في مدينة لاهاي . وقد ألقى خطبة تناول فيها مجمل تاريخ التربية الدينية والفلسفية في مصر معلناً ان التربية في وادي النيل الآن أوسع مما كانت عليهِ لامتزاجها بكثيرٍ من مبادىء التربية المدنية الحرَّة في أوروبا وان التسامح الديني بلغ مبلغاً يضمن التأليف بين العناصر المختلفة في البلاد

* زاد دخل شركة قناة السويس في الستة الأشهر الأولى من هـذه السنة ٨٥,٨٤٠ جنيهاً عن دخلها في مثل هذه المدة من السنة الماضية . ويُنتظر ان تبلغ الزيادة في السنة ١٢٠ ألف جنيه أو ثلاثة ملايين فرنك . وذلك رغم الاعتصابات العديدة والعراقيل الجمة التي عطلت الملاحة في هذا العام ورغم تخفيض الشركة للرسوم التي تتقاضاها

* من أخبار الصين ان يوانشيكاي رئيس الجمهورية الصينية أصدر أمره بتعطيل جريدة « كنغ ياو » التي كانت تنشر من نحو ألف وخمسمائة سنة أي من قبل وجود المطابع في أوروبا . وكانت الأحرف مركبة من الرصاص والفضة ، والورق من الحرير الأصفر . وقد برهن مديرو هذه الجريدة في كل آن عن استقلال في الرأي والنزوع الى التمدُّن الحديث ؛ وحدث ان أحدهم تجرَّأ في القرن الثاني عشر واقترح على الحكومة ارسال بعثة الى اوروبا لدرس عاداتها واتخاذ ما يوافق الصين منها فكان جزاؤه الاعدام . ومنذ سنة ١٨٠٠ أخذت الجريدة المذكورة تصدر يومياً وفي سنة ١٩٠٧ أمرت الامبراطورة بتعطيلها لأنها أذاعت المساعي التي كانت تُبذل أوائذٍ في القصر لاختيار وليّ للعهد . فاستأنفت الجريدة الظهور بعدئذٍ باسم آخر، وربما فعلت هكذا هذه المرة أيضاً واستأنفت الظهور رغماً عن الأمر الصادر بتعطيلها

ثمرات المطابع

كتاب آداب العرب [1] – عرف قراء العربية شاعراً تعوّد توقيع منظوماتهِ في الصحف والمجلاَّت بامضاء « العرب » . وكان هذا التوقيع يلتبس أحياناً على بعض صحفنا في اميركا وسوريا فتتوهم تلك المنظومات من المنقولات عن العرب . اما هنا فقد عرفناها لحضرة الامامي ابرهيم بك العرب ، وعرفنا شاعرها اديباً غيوراً على لغتنا ، صديقاً صدوقاً لمعظم ادبائنا . بين يدينا الآن كتابٌ من قلم حضرتهِ جمع فيهِ ما امتاز بنظمهِ من الحِكَم والأمثال على ألسنة الحيوانات ، فجاء فيهِ ما ينيف على المئة عظة قال ناظمها

عن الطيرِ في جوّ السماءِ أخذتها   وفي القفرِ عن ظبيٍ وذئبٍ ورئبالِ
وقد ضمنها حكماً ومواعظ :   لتهذيب أخلاقٍ واصلاح أحوالِ

وقد قدرتها نظارة المعارف قدرها فقررت طبع كتاب العرب على نفقتها ، كما قرّرت تدريسه في المدارس الابتدائية وفي مدارس المعلمات السنية ومدارس معلمي الكتاتيب ؛ وهذا أجمل تقريظ لكتاب صديقنا ابرهيم بك

اما طريقة الارشاد وتلقين الفضائل بواسطة الأمثال فهي قديمة العهد ، فقد ورد شيءٌ من ذلك في التوراة والانجيل . واشتهر بالأمثال عند القدماء ايزوب الرومي ، وعند الافرنج لافونتين وهو أبلغ من كتب في هذا الباب . ونالت الأمثال المنسوبة الى لقمان الحكيم شهرةً بعيدة

(١) المطبعة الأميرية في مصر

عند العرب . ومن الأئمة في هذا الفن ابن المقفّع ، وكتابه « كليلة ودمنة » أشهر من أن يُعرَف . ومن كُتُب الأمثال كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » لابن عربشاه الدمشقي . وقد ورد شيء من هذا النوع في كتاب « سلوان المطاع » لحجة الدين بن ظفر ، وفي كتاب « عنوان البيان » للشبراوي ، وكتاب « ألف ليلة وليلة » وكتاب « الاذكياء » لأبي الفرج بن الجوزي ، وفي مصنفات السيوطي . وأشهر من كتب في هذا الفن من المحدثين رزق الله حسّون وقد طبع كتابه « النفثات » في لندرا ، ومحمد عثمان جلال ، وطبع كتابه « الأمثال والمواعظ » في مصر . ونحن اليوم نسجل اسم « العرب » الى جانب أسماء هؤلاء الائمة

* العائلة المصرية [١] — جميلة ومعزّية النهضة الادبية التي نشاهد اثارها بين نسائنا وفتياتنا . فقد قام فريق منهنّ يعاون رجالنا في ترقية مجتمعنا الشرقي ، آخذات على عاتقهنّ تنبيه أخواتهنّ الى واجب المرأة ، والدفاع عن حقوقها . وقد انضم الى هذه الفئة العاملة كاتبة جديدة ، عرّفتنا بها الجرائد في هذه المدة ، وقد زدنا بها معرفةً من كتاب جليل الفائدة أهدته الينا في الشهر الماضي ، فرأينا فيها نفساً تتلهب غيرةً على مجد قومها ، وعقلاً يقدح زناد الفكر في معرفة دائنا ودوائنا . فبحثت في موضوع « العائلة » وهي اساس العمران وركن الاجتماع ، وتتبعت بنوع خاص العائلة المصرية في جميع ادوارها ومظاهرها وطبقاتها ، وانتقدت

(١) مطبعة التقدم في مصر . عدد صفحاته ٢٥٦ وثمنه ٨ غروش

بعض عاداتنا في التربية والمعيشة الزوجية ، وهي « كتبت ما كتبت بعد ان تأملت فتألمت ، وفكّرت فتحسرت على مجدٍ آفل وعزٍ غابر » وقد قرنت هذا الشعور الرقيق بخيالٍ واسع يساعدها على تصوير الحقائق والمناظر بصورٍ تمثلها لك أبلغ تمثيل . والشعور والخيال من أهمّ صفات الكاتب ، فلا يبعد ان تنال هذه الكاتبة الجديدة مقاماً رفيعاً بين اديباتنا ، وقد مهد لها كتابها « العائلة المصرية » الطريق لذلك

* وصايا الوطن العشر [1] — واضع هذا الكتاب ، أميل فاكه Emile Faguet أحد أعضاء الأكاديمية الفرنسوية ، من الكتّاب المفكّرين والمنشئين البعيدي الصيت . وقد بحث في كتابه هذا بحثاً وافياً في ماهية الوطن وأقسامهِ ، والوطنية ورسوخها في قلب الانسان والبواعث العاملة على تقويتها في النفوس كاللغة والدين ، وتاريخ البلاد وفنونها وآدابها وعلومها ، الى غير ذلك من الابحاث النفيسة المبنية على التحليل البسيكولوجي والأدلة التاريخية . وقد استنتج الكاتب من بحثهِ — وهذا ما يجدر بالشرقيين ، حكّامهم ومحكوميهم ، تفهّمهُ — انه يجب على الحكومات التي توجد فيها اليوم مذاهب سياسية وأديان متعددة ان تعتقد : أن المذاهب ليست عاملاً من عوامل الوطنية ، وان في مقاومة هذه المذاهب والاديان إضعاف الوطنية ؛ وان الوسيلة الوحيدة لجعل كل هذه المذاهب والاديان وطنيةً هي اطلاق حريتها كلها ومساواتها كلها في المعاملة . أما ناقل هذا

(١) طبع في مطبعة قره بت في الاستانة . ويطلب في مصر من ادارة المقطم ومكتبة الهلال وثمنه ٥ غروش صاغ

السفر النفيس الى العربية فهو الكاتب المشهور ابرهيم افندي سليم نجار مراسل المقطم من العاصمة العثمانية ، وهي خدمة جديدة له تضاف الى خدماتهِ السابقة في سبيل ابناء جلدته . فنسأل له التوفيق ولكتابه الرواج

* أمثال الشرق والغرب[1] — عنوان كتابٍ ضمَّ بين دفتيهِ زبدة ما دار على ألسنة الفلاسفة والحكماء من الأقوال المأثورة والأمثال المشهورة ، جمعها ورتبها حسب مواضيعها حضرة الاديب الفاضل يوسف افندي توما البستاني ؛ فأجاد وأفاد . لأن مثل هذه الأقوال هي نتاج الادمغة المفكّرة ، وخلاصة الحكمة في كل مكان وزمان ؛ فان كثيراً ما تكون الجملة الواحدة نتيجة اختبارٍ طويل وملاحظات عديدة ، فتجيء بالمعنى الكبير . وسننشر في عدد قادم طائفة من هذه الأقوال لما فيها من جزيل الفائدة

* الصديق — عنوان مجلة جديدة أصدرها في الاسكندرية الفاضل عبد الحميد افندي سالم ، وهي أدبية تاريخية روائية . جاءنا العدد الأول منها وهو يتضمن بعد المقدمة مقالة عن الشاعر البرتغالي كاموينس ، وبحثاً مستفيضاً في الروايات ومطالعتها وكتابتها والأسلوب الروائي . وقيمة الاشتراك ٣٠ غرشاً صحيحاً في مصر. و ١٠ فرنكات في الخارج . نتمنى ان يكون للصديق أصدقاء كثيرون

---

(١) المطبعة اليوسفية في مصر

يوليوس قيصر

رواية تمثيلية من أشهر الروايات ، وأحكمها وضعاً ، وأعظمها وقعاً في النفوس

لمؤلفها نابغة هذا الفن « شكسبير » الروائى الانكليزى الشهير

نقلها الى العربية بعبارة بليغة مطابقة تماماً للأصل الانكليزي حضرة الكاتب المجيد

سامى الجريدينى المحامى

وسننشرها تباعاً ابتداء من هذا الجزء بمناسبة النهضة التمثيلية الحديثة

اشخاص الرواية

يوليوس قيصر

او كتافيوس قيصر
ماركوس انطونيوس
اميليوس ليبدوس
— حكام الدولة الرومانية بعد موت قيصر

پوبيليوس
پبليوس
شيشرون
— من اعضاء مجلس الشيوخ

بروتوس. كاسيوس.
كاسكا . ليجاريوس.
تريبونيوس . سمبر .
ديسيوس . سنّا
— المتآمرون على قيصر

فلافيوس

مارو ليوس

ارتيمدوروس

منجّم

سنّا الشاعر – وشاعر آخر

لوسيليوس
تيتينوس
مسلاّ
كاتو الصغير
ڤولومنيوس
— اصدقاء بروتوس وكاسيوس

فارو. كليتوس.
كلوديوس . ستراتو .
لوسيوس. دارداتيوس
— خُدَّام بروتوس

بنداروس — خادم كاسيوس

كالبورنيا — امرأة قيصر

بورسيا — امرأة بروتوس

اعضاء مجلس الشيوخ. اهالي. حرس وخدَم

الفصل الاول

« المشهد الأول »

شارعٌ في رومه

(يدخل فلافيوس وماروليوس وبعض عامة الناس)

فلافيوس – الى بيوتكم ! اذهبوا الى بيوتكم أيتها المخلوقات الكسلى . أتظنون اليومَ يومَ عيد ؟ أولا تعلمون أنهُ لا يجوز لكم وأنتم من الصنّاع ان تسيروا في الأسواق في غير أيام البطالة بدون ان تحملوا شارات صناعاتكم ؟ أنت يا هذا تكلم . ما حرفتك ؟

العامي الأول – نجّار يا سيدي

ماروليوس – أين وِزرتك وأين مَسطرتك ؟ وما تصنع جائلاً مرتدياً أحسن ملابسك ؟ [1] وأنتَ يا هذا من أيّ الحرف أنت ؟

العامي الثاني – اذا عُدّ الصناع الحاذقون فما أنا يا سيدي الاّ عامل مرقِّع

ماروليوس – ولكن ما صنعتك ؟ قلْ بلا مواربة

العامي الثاني – اني أحترف حرفة أرجو ان أواظب عليها بالأمانة والاخلاص ألا وهي ترقيع القديم

ماروليوس – (غاضباً) ما صنعتك يا دنيء ؟ أيها الدنيء المُنافق ما صنعتك ؟

العامي الثاني – لا تغضب يا سيدي . لا تغضب عليَّ . فاني قد أُصلحك

ماروليوس – ما تعني بهذا أيها الوقِح ؟

---

(١) من عادات الرومانيين ان يحمل الصناع شارات صناعاتهم في كل وقت فلا يخرج صانع الا وهو حامل شارة صناعته

العامي الثاني – أي اني ارقّعُك يا سيدي

فلافيوس – آه . أنتَ سكاف . أليس كذلك ؟

العامي الثاني – حقاً يا سيدي ان المخرَز آلة معيشتي . فقد اصطفيتهُ لي خليلاً دون جميع الرجال والنساء . نعم . أنا جرّاح الأحذية القديمة آسوها عند إشرافها على الهلاك . ان خيرَ مَن مشى على الأرض مرَّت رجلاه بين يديّ

فلافيوس – ولماذا تركت حانوتك اليوم وخرجت تقود هؤلاء الناس في الاسواق ؟

العامي الثاني – حتى يقطّعوا أحذيتهم مشياً فيزداد كسبي . على اني لا اكتمك يا سيدي اننا تركنا اشغالنا لنرى قيصر ونفرح لانتصاراته (١)

ماروليوس – ولمَ تفرحون ؟ أين النصرُ المبين الذي جاءنا بهِ ؟ وأين الأسارى الذين أتى بهم الى رومة يحفّون بمركباته ؟ أي بني رومة قساة القلوب غلاظ الرقاب . كونوا حجارةً ! كونوا خُشُباً مسندةً ! ان الجماد لخيرٌ منكم . أنسيتم بومباي ؟ يوم كنتم تتسلقون الاسوار والمباني وتصعدون الى النوافذ والأبراج – بل الى المداخن – حاملين اطفالكم ، واقفين صابرين منتظرين اليوم كله لتختلسوا نظرةً من بومباي وهو مارٌّ في شوارع رومه . حتى اذا لاحت لكم مركبته هتفتم له هتافاً اهتزّت له اعماق التيبير كأنه يتطالُّ ليسمع صدى اصواتكم الماثلة شاطئيهِ ! .. والآن ؟ ماذا تفعلون الآن ؟ أترتدون أحسن ملابسكم وتخلقون لأنفسكم عيداً وتنثرون الازهار في طريق رجل جاءكم بنصرٍ مخضّب بدم بومباي ؟ اليكم عني ! تفرّقوا . اركضوا الى قعر بيوتكم وخرُّوا سجّداً وادعوا الالهة علّها تحوّل عنكم

---

(١) المحاورة بين الصانعين وبين فلافيوس وماروليوس صعب نقلها الى العربية نقلاً حقيقياً دقيقاً لأن معظمها تلاعب في الالفاظ من نوع الجناس اللفظي . وشكسبير مغرم بهذا النوع من الكلام يجعله يدور دائماً أبداً على ألسنة صغار القوم وادنيائهم من اشخاص رواياته

طاعوناً واقعاً لا محالة عليكم يا ناكري الجميل [١]

فلافيوس - يا ابناء وطني الصالحين . اذهبوا . اذهبوا واجمعوا جموعكم الذين على شاكلتكم الى ضفاف التيبير ؛ واذرفوا الدمع حتى يفيض منهُ النهر ويملأ عبرَيه عسى أن تُغفر لكم اوزاركم (يخرج جميع الاهالي) أنظرْ . انَّ أدنى عواطفهم قد تحرّكت . ألا ترى كيف خرسوا في ذنوبهم وذابوا ؟ اقصد انت الى الكابيتول من هذه الناحية ، وانا من هنا ، واذا رأيت صوراً مزدانة بزينة قيصر فانزع زينتها

ماروليوس - أيليق أن نفعل ذلك واليوم عيد لوباركال ؟ [٢]

فلافيوس - لا بأس . يجب ان لا ندع الصور مزدانة بزينات قيصر . انا ذاهب لاطرد العامة من الشوارع فافعل انت فعلي وفرّقهم حيث تراهم متكاثفين . فإنّا اذا نزعنا الآن هذه الريشات المتنامية من جناح قيصر ما استطاع ان يطير فوق الطيران العادي . اما اذا لم نفعل فانهُ يحلّق الى حيث لا تراه العين ، ونبقى نحن خاضعين خائفين (يخرجان)

« المشهد الثاني »

محلٌّ عام . هتاف

(يدخل قيصر وأنطونيوس وكالبورنيا امرأة قيصر، وبورسيا امرأة بروتوس،

(١) يشير شكسبير الى رجوع قيصر من اسبانيا منتصراً على اولاد بومباي القائد الروماني الشهير وكان لبومباي هذا حزب كبير في رومه فلم يكونوا ليسروا بانتصار روماني على روماني آخر عظيم . ولكن شكسبير جعل يوم رجوع قيصر منتصراً هـذا النصر موافقا لعيد لوباركال والتاريخ لا يصدقه في ذلك . فعيد لوباركال يقع في ١٥ فبراير ورجوع قيصر كان في اكتوبر من سنة ٤٥ قبل الميلاد المسيحي

(٢) لوباركال اسم محل في رومة يعتقد مؤرخو الرومان الأقدمون انه المحل الذي وجدوا فيه الأخوين روميلوس وريموس ومعهما عنزة ترضعهما (وروميلوس مؤسس رومة) فصار الرومانيون يعيدون في ١٥ فبراير من كل سنة هـذا العيد اكراماً لمؤسس رومة . وكان من عاداتهم في هذا العيد ان يزينوا جميع التماثيل والصور بزينات ابطالهم

وديسيوس وشيشرون وبروتوس وكاسيوس وكاسكا . وجمع كثير يتبع ، وبينهم منجّم ، لمشاهدة السباق [١])

قيصر — كالبورنيا ! [٢]

كاسكا — يا هو ! اسكتوا ! ان قيصر يتكلم

قيصر — كالبورنيا !

كالبورنيا — هانذا سيدي

قيصر — قفي واعترضي أنطونيوس في طريقهِ حين يمرُّ بكِ جارياً ! أنطونيوس !

أنطونيوس — سيدي قيصر

قيصر — لا تنسَ وأنت تجري في السباق ان تلمسَ كالبورنيا . فان شيوخنا يقولون انهُ اذا لمس أحد المتسابقين عاقراً في مثل هذا اليوم زالت عنها لعنة عقرَتِها

أنطونيوس — سأذكر ذلك ولا أنساه . ان قيصر اذا قال لشيء كن فيكون

قيصر — ابدأوا . والعبوا لعبكم　　(هتاف واختلاط)

المنجم — أي قيصر !

قيصر — ها . من ينادي ؟

كاسكا — قولوا للناس تسكت ! اسكتوا !

قيصر — من يناديني في مثل هذا الزحام ؟ فاني أسمع صوتاً أرفع من صوت الموسيقى ينادي قيصر . تكلم . ان قيصر مصغٍ يسمع

---

(١) كان الرومانيون يتسابقون جرياً على الاقدام في أعيادهم وكان من عاداتهم ان تقف النساء العاقرات ويمددن أيديهنّ في سبيل الراكضين فيضربهنّ أحد المتسابقين . وكانوا يعتقدون ان في ذلك ازالة لعقرتهنّ　(٢) كالبورنيا امرأة قيصر الرابعة فانه كان قد تزوج ثلاثاً قبل ان يتزوج بها وهي ابنة كالبورنيوس بيزو

المنجم – إحذر خامس عشر مارس !

قيصر – مَن الرجل ؟

بروتوس – ان منجماً يحذرك خامس عشر مارس

قيصر – إيتوني بهِ . دعني أرَ وجهه

كاسيوس – (يخاطب المنجم) تقدَّم من بين الجمع وانظرْ الى قيصر

قيصر – ماذا قلتَ لي ؟ قلْ مرةً اخرى

المنجم – احذر خامس عشر مارس !

قيصر – انهُ لحالِمٌ . لندعه وشأنه . هيّوا بنا

(يخرج الجميع و يبقى بروتوس وكاسيوس)

كاسيوس – أتأتي معي لمشاهدة السباق ؟

بروتوس – ما أنا بالذاهب

كاسيوس – رجوتك . افعلْ

بروتوس – ما أنا باللعَّاب . انهُ لينقصني بعض ما عند أنطونيوس من الميل الى اللهو . ولكن لا يقفنَّ امتناعي في سبيل ذهابك أنتَ . ها أنا منصرف

كاسيوس – اني ألحظُ اليك منذ زمن يسير فلا أرى في عينيك تلك المودة التي عوَّدتنيها . ولا تُظهر لي من الحبِّ ما كنتُ أنتظره منك . ولا تمدّ يدك السمحاء مدًّا يرقبهُ صديقك الصدوق

بروتوس – لا تخدعنَّك الظواهر يا كاسيوس . فما حوَّلتُ وجهي عنك بل عن نفسي . . . عواطف متباينة تتقاذفني . إنْ هي الآ أفكار خاصة بي قد تصطبغ بها أعمالي . فلا يحزن أصدقائي لأمري – وأنتَ يا كاسيوس في عدادهم – وليعلموا ان بروتوس قد اشتغل بمحاربة نفسه عن اظهار المودّة لهم

كاسيوس – اذن عفوكَ عن اخطائي حسن مقصدك . بل عفواً عن خطاءٍ

جعلني أخفي عنك في طيّ قلبي أفكاراً وتأملات ذات شأن وقيمة قلْ يا بروتوس! هل تستطيع ان ترى وجهك ؟

بروتوس – كلاّ . فان العين لا ترى نفسها الاّ اذا انعكست صورتها اليها بشيء آخر

كاسيوس – هذا أكيد . أسفي ان لا يكون لديك مرآةٌ تعكس لك فضائلك المخباة فتريك ظلك . اني سمعتُ كثيرين من أعلى الناس مقاماً في رومه – عدا قيصر – يئنون تحت نير هـذا الزمان . يذكرون بروتوس ويتمنون لو ينظر الى نفسهِ بأعينهم

بروتوس – الى أيّ الأخطار تدفعني يا كاسيوس فتجعلني أفتش في نفسي عما ليس فيَّ

كاسيوس – اذن تهيأ للسمع . وما دمتَ تعلم انك لا تستطيع النظر الى نفسك فأنا أقفُ لك مرآةً صغيرة تعكس ما خفي عليك منك . لا تسيء الظنّ بي . لو كنتُ ضَحِكة بين الناس او من الذين يطرحون صداقتهم طرحاً على أول قادم . او كنتُ ممن ينقلب على الصديق عدوًّا أغتابهُ بعد ان اكون قد مدحتـهُ . او كنتُ أحفلُ باسترضاء عامة الناس لحقَّ لك الحذرُ مني (هتاف في الخارج)

بروتوس – ما هذا الهتاف ؟ اني أخشى ان يكون الشعب قد اختار قيصر ملكاً

كاسيوس – آه . أتخشى الأمر ؟ اذن أنت لا ترغبُ فيهِ ؟

بروتوس – أي كاسيوس . اني لا أريد ذلك ولكني أُحبّ قيصر . . . . ولمَ تمسكني عن الذهاب ؟ ما الذي تودُّ ان تبوح لي بهِ ؟ ان كان هناك ما يعود بالنفع على بلادي فدونك عينيَّ ! ضعْ الموتَ أمام احداهما والشرف أمام الأخرى فتراني أنظرُ الى الأمرين نظراً واحداً وأسيرُ في طريقي إما الى الموت واما الى الشرف. لتعجّل الآلهة بالقضاء عليَّ إن كنت لا أحبُّ الشرف اكثر مما أخاف الموت

كاسيوس – أعرف بكَ هذه الفضيلة كما أعرفك . خفّف عنك . اني أسوقُ اليك حديثاً موضوعه الشرف . ما الحياة ؟ اني أجهل رأيك ورأي الناس في قيمة هذه الحياة الدنيا . أما أنا فسيَّان عندي الموت والحياة اذا كان لابدَّ لي من العيش خائفاً من نفسي... لقد ولدتُ حرًّا مثل قيصر . او لستَ أنت حرًّا أيضاً ؟ تغذَّينا كلانا من غذائهِ . وكلانا يتحمل برد الشتاء كاحتماله . فاني كنت مرة مع قيصر على شاطئ نهر التيبير في يوم مطير ذي ريح عاصفة . وأمواج النهر تودُّ لو استطاعت التملص من شاطئيه فتلطمها حَنِقةً غضبى . فقال لي قيصر أتجسر يا كاسيوس ان تقفز معي الى هذا النهر الشرس فنسبح الى الضفة الأخرى . فامتثلتُ الأمر حالاً ووثبتُ الى الماء وقلتُ له اتبعني . فتبعني . وتدفق السيلُ وعلا خريره فأخذنا نكافحه بأعصاب كَلِبةٍ ندفع الأمواج غير هيابين فتندفع . وما كدنا نصل الى هَدَفِنا حتى سمعتُ قيصر ينادي « اليَّ يا كاسيوس أو أغرق » فانتشلتهُ من ماء التيبير مضنوكاً كما انتشل جدُّنا الأعلى اينياس العجوزَ أنشيزيس من نيران ترواده الملتهبة . وها قد صار هذا الرجل الهاً وبقي كاسيوس رجلاً تعساً ، عليهِ ان ينحني خاشعاً اذا تكرَّم قيصر ورمقهُ شزراً . انهُ اصيب بالحمى في اسبانيا فكان يرتجف ارتجافاً عند ما تأتيه النوبة . لقد شاهدت ارتجافه . نعم لقد رأيتُ هذا الإله يرتجف ورأيت شفتيه وقد جَبُنتا ففرَّتا هاربتين من لونهما الطبيعي . وتلك العين التي يرتعب العالم من نظرتها رأيتها وقد زال عنها لمعانها . لقد سمعتهُ يئن . ان لسانه الذي أمر الرومانيين ان يكرموه ويدوّنوا خطَبَهُ في كتبهم كان يصرخ طالباً كأساً من الماء كما تصرخ امرأة على سرير المرض . إيهِ أيتها الآلهة ! اني أعجب كيف يتسنى لرجلٍ بهِ من ضعف الخُلق ما بهِ ان يحوز قصب السبق وحده على هذا العالم العظيم (هتاف في الخارج)

بروتوس – انهم يهتفون أيضاً . وما أظنُّ هذا الهتاف الاَّ تكريماً يضاف الى حساب قيصر

كاسيوس – ويلك يا رجل . انهُ مثل صنم رودس يضمُّ بين ساقيه هذا العالم الضيق ولا يُبقي لنا نحن صغار الخلق الاّ ان نمشي بين رجليه الضخمتين ثمَّ نتطاول لنجدَ لأنفسنا قبوراً ندفن بها عارنا . الناس يملكون في بعض الأحيان آجالهم اننا نعيبُ زماننا والعيب فينا . بروتوس – قيصر – ما الفرق بين الاسمين وبمَ يفضل قيصر بروتوس ؟ ولمَ ينادى باسمهِ اكثر مما ينادى باسمك ؟ اكتب الاسمين معاً . ليس اسمه بأجمل من اسمك . نحن في قراءتهما . ان اسمك عذب اللفظ كاسمهِ . ضعهما في كفتي ميزان فلا يرجح اسمهُ اسمك . عزّم بهما فسرعان ما تخرج الأرواح من بروتوس خروجها من قيصر . وأيم الالهة جميعها ! على أي طعامٍ يقتات قيصر هذا حتى ينمو ويصير عظيماً ؟ خزياً لهذا الزمان ! لقد أضعتِ الدم الشريف من عروقك يا رومه . وانهُ ما مرَّ منذ الطوفان زمن احتكر شهرته رجل واحد فقط . وما استطاع رجل ان يقول قبل الآن ان جدران رومه الواسعة ضاقت عن ان تسع اكثر من واحد . وها نحن، ورومه رومه ، ولا مكان لا كثر من رجل فرد فيها . اني سمعتُ آباءنا تقول ان قد كان فيما مضى رجل يُدعى بروتوس ودَّ لو خضع لحكم الشيطان الأبدي ولا يرى ملكاً على رومه

بروتوس – لا اشكُّ في حبك لي . واظنني قد حذرت بعض ما تدفعني اليهِ . سانبئك بما يستقرُّ عليهِ رأيي في هذه الأمور . اما الآن فأرجوك أن لا تزيد في تحريك شجوني . اني سأمعن النظر فيما قلت وسأصغي الى كل ما ستقول ثمَّ لي جواب على هذه المهام . واعلم اني أؤثر ان اكون قروياً حقيراً على ان اكون ابناً لرومه ينوء تحت أحمالٍ قد يحملنا اياها هذا الزمان . فامضغ هذا الكلام جيداً حتى نلتقي مرةً أخرى

كاسيوس – أنا فرحٌ لأن كلماتي الضعيفة قد أذكت مثل هذه النار في صدرك

بروتوس – قد انتهت الألعاب وعاد قيصر .

كاسيوس – عند ما يمرّ القوم اجذب كاسكا من كُمّ ثوبه اليك فيروي لنا باسلوبه الساخر ما يستأهل الرواية من حوادث اليوم (يدخل قيصر واتباعه)

بروتوس – سأفعل . انما تعالَ وانظر . ها علامة الغضب تلمع على جبهة قيصر . واتباعه يمشون كاسفين . ان الاصفرار يعلو خدي كلبورنيا . وشيشرون ينظر بأعين من نار تذكرنا مواقفه في الكابتول حين يعارضه في الكلام أحد اعضاء المجلس

كاسيوس – سيقص كاسكا الخبر علينا

قيصر – انطونيوس !

انطونيوس – قيصر ؟

قيصر – أبغِني رجالاً يحيطون بي . رجالاً سماناً ذوي رؤوس ناعمة ينامون الليل كله . ان لكاسيوس الواقف هناك نظرات جائعة مهزولة . انهُ كثير التفكير ومثل جانبه لا يؤمن

انطونيوس – لا تخفهُ ، ليس منهُ خطر . انهُ روماني نبيل يميل اليك

قيصر – ليتهُ كان سميناً . ولكني لا أخافه . على انهُ لو أُعطي لي ان أخاف ، لما تجنبتُ رجلاً تجنبي كاسيوس الناحل . انهُ يقرأ كثيراً ، وهو شديد الملاحظة ، يحدق بنظره فيخترق اعمال الناس . لا يلهو ولا يلعب نظيرك يا انطونيوس ، ولا يسمع الغناء ، يتبسم قليلاً ، واذا تبسم فكأنهُ يهزأ من نفسه او يحتقر قلباً يجد ما يستأهل التبسم . ان امثاله قلقون أبداً ، لا يهدأ لهم بال اذا رأوا من هو أعظم منهم . فهو خطِر . على اني انبئك عما يجب ان تخاف وليس عما أخافهُ انا . لأن قيصر لا يزال قيصر . تعالَ الى يميني ، فان هذه الأذن ثقيلة السمع وأبدِ لي رأيك فيهِ بالحق . (يخرج قيصر واتباعه ما عدا كاسكا)

كاسكا – انك جذبت كمّ ثوبي . هل تبغي محادثتي ؟

بروتوس – نعم ، انبئنا ما الذي اساء قيصر اليوم

كاسكا – انك كنت معهُ . ألم تكن معهُ ؟

بروتوس، – لو كنت معهُ ما سألتك شيئاً

كاسكا – لقد قدّموا له تاجاً ، وبعد ان قدّموه ردّه بيده هكذا . فهتف له الشعب

بروتوس – وما كان سبب الهتاف الثاني ؟

كاسكا – الأمر نفسه

كاسيوس – ولكنهم هتفوا ثلاثاً

بروتوس – هل أهدوا التاج اليهِ ثلاث مرات ؟

كاسكا – نعم . ثلاث مرات ، وقد ردّه ثلاثاً ايضاً . لكنه تمهّل في الثانية اكثر مما في الأولى ، وفي الثالثة اكثر مما في الثانية . وكان الذين حواليَّ يهتفون له المرة بعد الأخرى

كاسيوس – من قدّم له التاج ؟

كاسكا – انطونيوس

بروتوس – كيف كان ذلك ؟

كاسكا – أما كيف كان ذلك فصعب عليَّ وصفه . ما اكترثتُ . ظننت الأمر ألعوبة . رأيت ماركوس انطونيوس يقدّم له شيئاً ليس بالتاج حقيقة بل اكليلاً صغيراً . وقد قلت لك انهُ رفضهُ . على اني أظنهُ كان يود لو أبقاه . فقدّم الاكليل ثانية ، فردّه قيصر ايضاً . على انني أظنهُ استثقل ان يعيد يده خاليةً منه . فعاد انطونيوس وقدم الاكليل مرة ثالثة ، فردّه بين هتاف الجمهور وتصفيقهم . وأخذوا يرمون قبعاتهم القذِرة في الهواء فتختلط رائحتها برائحة أنفاسهم المنتنة حتى كاد يُقضى على قيصر . فقد اعتراه الاغماء وسقط الى الأرض . اما

أنا فلم أجسر ان أضحك مخافة ان أفتح فمي فيمتلئ ريحاً خبيثة

كاسيوس – مهلاً . مهلاً . هل أغمي على قيصر ؟

كاسكا – انهُ سقط على قارعة الطريق ، وأزبد فمه ولم يتكلم

بروتوس – والأمر معقول . فان قيصر مصاب بداء الصرع

كاسيوس – ليس قيصر المصاب بالصرع ! بل أنت ، وأنا ، وهذا الأمين كاسكا . نحن المصابون بالصرع !

كاسكا – لا أفهم ما تقول . ولكني أعلم ان قيصر وقع الى الأرض وكان قد لحظ قبل ان يقع سرور الشعب لرفضه التاج فجذبني اليهِ لأنزع الرداء عن عنقه ، والتفت الى جمهور الواقفين وقال « تعالوا اضربوا عنقي » . اما أنا فلو كنت أحد هؤلاء الصنّاع لصدقته حالاً . وعند ما رجع الى نفسه ، اعتذر عما بدر منهُ ونسب السبب الى مرضه ، فصاحت ثلاث او اربع نساء كنَّ بجانبي « يا لهُ من ملك كريم » وغفرنَ له من كل قلوبهنَّ . انما لا عبرة باعمالهنَّ فلو طعنَ قيصر امهاتهنَّ ما فعلنَ خلاف ذلك

بروتوس – و بعد ذلك خرج كئيباً ؟

كاسكا – نعم

كاسيوس – هل تكلم شيشرون ؟

كاسكا – نعم . تكلم باليونانية

كاسيوس – ماذا قال ؟

كاسكا – لو كنت أعلم ما قال لما نظرت الى وجهك بعد الآن . اما الذين فهموه فكان ينظر بعضهم الى بعض ويتبسمون ويهزّون الرؤوس . اما انا فلم افهم شيئاً . كان الكلام يونانياً – دونك خبراً آخر : انهم قبضوا على مارولیوس وفلافيوس لأنهما نزعا الزينات من صور قيصر . وهناك مساخر أخرى قد نسيتها . (مودّعاً) طيبا نفساً

كاسيوس – تعالَ تتعشى في بيتي هذا المساء

كاسكا – لا . فان لي موعداً آخر

كاسيوس – فليكن الأمر غداً

كاسكا – لا بأس . ان عشتُ ، وكان غذاؤك طيباً ، وان أنت لم تنسَ

كاسيوس – سأكون بانتظارك (يخرج كاسكا)

بروتوس – غريب أمر هذا ! وكيف صار بطيء الفهم . فقد كان رفيقي في المدرسة وعرفته على جانب عظيم من الذكاء وسرعة الخاطر

كاسيوس – انهُ لا يزال سريعاً في التنفيذ سبّاقاً الى غايات الشرف والشجاعة رغم ظاهره البطيء . وليست هذه الخشونة البادية عليهِ الاَّ مرقاً في صحن ذكائهِ يذيقهُ الناس فيحسنون هضم كلامه بشهية

بروتوس – وهو كذلك . سأتركك الآن . فاذا أحببتَ ان تراني غداً أجيئك . أو تعالَ انت الى منزلي . اني اكون بانتظارك

كاسيوس – سأفعل . استودعكَ التفكير في شؤون هذا الزمان (يخرج بروتوس) . انك شريف يا بروتوس . على اني أرى معدنك الشريف قد يُصكُّ ويحوَّل الى غير وجهتهِ . ولذلك وجب ان لا يخالط الشريف الاَّ الشريف ، فالعصمة ليست لأحد ، وأي الرجال لا يستغوى . ان قيصر حاقدٌ عليَّ ولكنهُ يحب بروتوس . فلو كنتُ أنا بروتوس وكان بروتوس كاسيوس لما استطاع ان يثير مكامنَ عواطفي . فلأذهبنَّ الليلة وأكتبُ رسائل أرميها اليهِ من نوافذ بيته -- رسائل مختلفة الخطوط تشيرُ الى ما له من عظيم المكانة في قلوب أهل رومه وتلمّح الى اطماع قيصر ومآربه – وبعد ذلك ليطمئن قيصر في مقعده ان استطاع للاطمئنان سبيلاً . فإنّا سنهزه تهزيزاً أو نخضع للنحس طويلاً (يخرج)

« المشهد الثالث »

رعد وبرق . (يدخل كاسكا من جهة شاهراً سيفه ، وشيشرون من جهة أخرى)

شيشرون – السلام يا كاسكا . أكنتَ في ركاب قيصر حتى منزله ؟ مالك

تكاد تختنق ؛ الى أيّ شيء تحدّق

كاسكا – وأنتَ مالك ساكناً لا تتحرَّك والأرض تكاد تميد بما فيها كورقة يهزُّها الريح . أي شيشرون ! اني رأيت أعاصير اقتلعت الاشجار ذات العقد ؛ وشاهدتُ البحر ينتفخُ ويرغي ويُزبد طامعاً بأن يرتفع الى السحب الغضبى ولكنني لم أرَ قبل اليوم عاصفة تمطرُ ناراً . فقد يكون أهل السماء قام بعضهم على بعضٍ عدوًّا . أو ان الأرض تطاولت على الآلهة فاستفزّتها الى ارسال صواعق الهلاك

شيشرون – ماذا رأيتَ من الغرائب ؟

كاسكا – رأيت عبداً رافعاً يده اليسرى تلتهب ناراً كأنها تضمُّ عشرين مشعالاً ولكنها سليمة لا تحترق . والتقيتُ بأسدٍ سللتُ له سيفي فكان يحملق فيَّ ثم سار بسلام . وثَمَّ نساء بدَّلهنَّ الخوف أشباحاً حلفنَ لي انهنَّ رأينَ رجالاً من نار يسيرون في الشوارع . والبارحة جثمت البومة طائرُ الليل تنعبُ في رابعة النهار . . أفإذا اتفقت هذه الخوارق على الوقوع يعللها الناس بأنها طبيعية ويخلقون لها أسباباً ؟ أما أنا فأراها نذُرَ سوءٍ للبلاد التي تحلُّ عليها !

شيشرون – لا ريب انهُ زمنٌ غريب الأطوار . انما الناس يؤوّلون على هواهم أموراً ليست مقاصدها مقاصدهم . أيجيء قيصر الى الكابيتول غداً ؟

كاسكا – يجيءُ . فقد أمرَ أنطونيوس بأن ينقل اليك نبأ عزمه على الذهاب

شيشرون – مُسّيتَ بالخير . ليس هذا الطقس بلائق للسُرى

كاسكا – يحفظ الله يا شيشرون (يخرج شيشرون)

(يدخل كاسيوس من ناحية أخرى)

كاسيوس – مَن هنا

كاسكا – رومانيّ

كاسيوس – أنتَ كاسكا . عرفتك بصوتك

كاسكا – أُذنك سمّاعة ! أي كاسيوس ما هذا الليل ؟

كاسيوس – انها لليلةٌ تسرُّ المخلصين الأمناء

كاسكا – مَن رأى السماء تزمجرُ هكذا

كاسيوس – الذين رأوا الأرض مملوءة ذنوباً . أنظر يا كاسكا ! اني كما تراني قد خرجتُ أجول في الأسواق معرّضاً نفسي لأخطار هذا الليل ، مفكوك الازار معرّياً صدري للصواعق حتى اذا ما أرعدت وشقّت صدر السماء كنت أتعرّض لها مستقبلاً انقضاضها هكذا ؟

كاسكا – ولمَ تستفزُّ السماء هذا الاستفزاز ؟ ان علينا نحن البشر ان نخاف ونرتجف عند ما ترسل الآلهة البطّاشة مثل هذه النذر الهائلة لترهبنا

كاسيوس – انك بليد يا كاسكا ! فإما انه يعوزك شررُ الحياة اللازم لكلّ روماني واما ان يكون مخبوءا فيك لا تقدح بهِ . تلبس لباس الخوف والدهشة ، ويعلو وجهك الاصفرار ، وتحدّق لترى علة ملل السماء . ولو استقصيتَ السبب الحقَّ لوجدتَ ان هذه النيران وهذه الأشباح الزاحفة وهذا الطير والحيوان وهذه الاشياء جميعها لم تخرج عن مألوفِ سليقتها وأصل كيانها ولم يستعصِ سرُّ انقلابها على الرجال عاقلهم ومجنونهم وطفلهم، فضاعَ منهم سبب تحوّلها هذا التحوّل الرهيب الاّ لأمرٍ جللٍ خارق ؛ وان السماء قد نفخت فيهم هذه الأرواح لتجعلهم آلةَ رعبٍ وانذار ! أي كاسكا ! هل أُسمي لك رجلاً هو أشبه الاشياء بهذا الليل – رجلاً يرعد ويبرق وينبش القبورَ ويزأر كالأسد في الكابيتول – رجلاً لا يفضلك ولا يفضلني في الاعمال ولكنهُ نما فصار مخيفاً هائلاً كهول ما نشاهد من الخوارق

كاسكا – قيصر عنيت . ألم تعنهِ يا كاسيوس ؟

كاسيوس – ليكن من يكون . تعساً لهذا الزمان ! فان للرومانيين الآن أعصاب أجدادهم وعضلاتهم. أما عقول آبائنا فقد ماتت و بقيت لنا عقول الامهات.

ان نيرنا وصبرَنا عليهِ لمظهرٌ من مظاهر تخنثنا

كاسكا — يقال ان الاعيان ينوون المناداة بقيصر ملكاً يحمل التاج في البرّ والبحر وفي كل مكان خلا ايطاليا

كاسيوس — اذن فانا أعرف أين أغمد هذا الخنجر وأحرر نفسي من هذا الرق! إيهٍ أيتها الآلهة! انكم في هذا تجعلون الضعيف قوياً وتقهرون المستبدين!.. لا تستطيع الحصون الحجرية ولا الاسوار المصفحة بالنحاس، ولا السجون المخنقة، ولا سلاسل الحديد ان تقف حاجزاً في سبيل عزم نفس اكيد. انما قد تملُّ الحياة هذه القيود الأرضية فلا تعدم قوة تعينها على الفرار. فاذا كنتُ أعلم ذلك — وهو ما يعلمه الناس كلهم — فاني أستطيع ان أنزع عني متى شئت هذا الاستبداد الذي أحمله

كاسكا — هكذا أنا. وهكذا كل عبد يحمل في يده قوة تزيل عنهُ عبوديته

كاسيوس — اذن لماذا يكون قيصر السيد المستبد؟ مسكين هو — الذنب ليس ذنبه. انهُ لا يودّ ان يكون ذئباً لو لم يرَ الرومانيين حملاناً؛ ولا ان يصير أسداً لو لم يكن الرومانيون ظباء. ان أعظم النار التهاباً تبدأ بشرر في العشب الصغير البائد. يا لرومة. ما ازراها وما أشبهها بالحثالة والنفاية حيث هي اداة هوانٍ تُحرق مشكاةً لشيء سافلٍ اسمهُ قيصر! رويدكِ نفسي لقد أضلتني شجوني، فقد اكون مخاطباً رجلاً راضياً بالرق. على أني أتحمل مسؤولية كلامي، فلا أخشى الخطر بعد ان سلحت لملاقاته عزيمتي

كاسكا — انك تخاطب كاسكا. وليس كاسكا بالثرثارة المهذار. ضع يدك في يدي! كن في عصبة تقوم في وجه هذه المساوئ، فأصبح واحداً منكم لا يسبقهُ الى العمل سابق

كاسيوس — هذا عهد بيننا. (يتصافحان) فليكن في معلومك الآن اني قد أثرت بعضاً من أشرف رؤوس رومه ليكونوا عوناً لي على أمر جلَل نبيل؛ وهم

بانتظاري الآن في رواق بومباي في هذا الهزيع من الليل حيث لا سار في الاسواق . . . ما أشبه وجه الطبيعة بعمل دموي مخيف سوف نقدم عليهُ (يدخل سنّا)

كاسكا — اختبئ هنيهةً ! انسان قادم على عجل

كاسيوس — هو سنّا . اعرفه بمشيته . انهُ صديق . ما لك تسرع يا سنّا ؟

سنّا — لأراك . من هذا ؟ أسمبر هو ؟

كاسيوس — لا . هو كاسكا ، أحد الملتفين حول غرضنا

سنّا — اهلاً بك وفرحاً ! يا لهول هذا الليل ! ان بعضاً من قومنا رأى مناظر غريبة

كاسيوس — أينتظرني القوم ؟ قل !

سنّا — نعم . هم بانتظارك . ايه كاسيوس لو تستطيع ان تجعل بروتوس منا

كاسيوس — اطمأن بالاً . خذ هذه الورقة للمجلس ، وضعها في كرسي بروتوس الخاص بهِ بحيث لا يراها سواه ، وارمِ بهذه الى نافذة بيتهِ ، علّق هذه على تمثال جدّه بروتوس ؛ ثم تعالَ والحق بنا في رواق بومباي . أهناك داسيوس وتريبونيوس ؟

سنّا — الكل عدا سمبر الذي خرج وراءك الى بيتك . ها أنا أُسرع لأوزع هذه الأوراق حسب قولك

كاسيوس — ثم ارجع بعد ذلك الى رواق بومباي . (يخرج سنّا) (مخاطباً كاسكا) كاسكا . هلمَّ بنا الى منزل بروتوس قبل ان يفاجئنا النهار . ثلاثة ارباعه لنا الآن ، وسنأخذه كله بعد هذا الاجتماع

كاسكا — ان منزلته رفيعة المقـام في قلوب الشعب وما يرونهُ تهجماً اذا صدر منا ينقلب بسحر هيبتهِ فضيلةً واحساناً

كاسيوس — لقد قدرته وفضله وحاجتنا اليهِ حق القدر . هيا بنا فقد آذن الليل بالانصراف ، وسوف نكون واثقين منهُ قبل ان يلوح الفجر (يذهبان)

(تمّ الفصل الاول)